

الأب القس
ميخائيل يعقوب
كاهن كنيسة مار أسيا الحكيم
الدرباسية

كانت ولا تزال عذراء

هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعوا اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا
((أش:7: 14 ، مت:1: 23))

بطاقة شكر

لسيدي نيافة الحبر الجليل مار اسطانيوس متى روهم مطران الجزيرة والفرات للسريان الأرثوذكس الجزيل الوقار الذي ظهرت ملامح السرور على وجهه وهو يتصفح مسوّدَة هذا العمل ومنحني بركة على إنجازهِ ، كما أنه أشار إلي بأن أضمنه الأنشودة السريانية التي وردت في كتاب الاشحيم للصلوات اليومية الصباحية والمسائية ص69 وذلك لأهميتها في خدمة موضوع الكتاب . أدامه الله راعياً صالحاً يقودنا إلى مروج الخلاص برنا يسوع المسيح بشفاعة السيدة العذراء والقديس مار أسيا الحكيم آمين .

كما إنني أشكر اثنين من أبنائنا الروحيين من مدينة الحسكة لتبرعهما بمبلغ 20000 ل.س مساهمة في طبع هذا الكتاب لصالح كنيسة القديس مار أسيا الحكيم بالدرباسية فلتشملهما بركة وشفاعة أمنا العذراء آمين .

وإنني أستغلها فرصة لأوجه اهتمام المؤمنين إلى أن من يريد أن ينال بركة أيّاً من الأعمال الروحية التي نقوم بها في كنيسة مار أسيا الحكيم بمساهمته مالياً في إنجاز العمل فليتصل مع الأب القس ميخائيل يعقوب كاهن الكنيسة على الأرقام التالية :

متزل 711840

خليوي 0988650314

المقدمة :

تختلف البتولية وقداستها اختلافاً كبيراً عن مسألة الزواج . فالبتولية تعني أن يبقى الإنسان بعيداً كلياً عن الزواج وعن كل ما من شأنه أن يهيج فيه دوافع الزواج كي يحيا لأجل قضية واحدة في حياته فيبتنى له على الدوام أن يصبّ في هذه المسألة كل إمكاناته وطاقاته العقلية والنفسية لتحقيقها في ذاته . وإن تلك القضية بالمفهوم الديني هي أن يقدم البتول نفسه عروساً طاهراً نقياً للمسيح من أجل تحقيق المسيح في ذاته تحقيقاً إلى أبعد حد ممكن وذلك بحسب ما أشار إليه ربنا يسوع المسيح حينما قال : كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل (مت 5: 48) وهذا ما يجعلنا نصل إلى تعريف أدق للبتولية وهو :

1 - البتولية لأجل ملكوت الله إن حققها البتول هي عرسُ عفافٍ دائمٍ والعريس فيه هو المسيح .
2 - البتولية هي اصطفاء للبعد الروحي في كامل صورته . أي أن البتول يغربل الحياة الزمنية ولا يُبقي منها إلا ما هو اهتمام الروح لأجل ملكوت الله . ونستوحي برهاناً على ذلك من تلك الصورة التي كانت فيها مريم جالسة عند قدمي يسوع تستمتع بسماع كلمات الحياة من فمه الأقدس ، وأما مارتا فقد كانت مرتبكة في خدمة أمورٍ كثيرة ، وحينما احتجّت على مريم بأنها تركتها تخدم وحدها فإنّ ربنا له المجد ردّ عليها معبراً عن أنّ مريم قد قفزت فوق حدود الرسيمات المتعارف عليها وذلك كي تصل إلى قلبه بأسرع ما يمكن وقد وصلت إذ قال : مارتا مارتا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد فاخترت مريم النصيب الصالح الذي لن يترع منها (لوقا 10: 41-42) .

3 - البتولية هي قفزة إلى العلاقة الروحية الكاملة ((عفاف . طهارة . قداسة)) فهي إذاً مشيٌّ أسرع إلى العلاقة الروحية وأثبت في طريق الكمال الروحي أكثر منها في العلاقة الزوجية . نعم إنّه لا بد من عشق المسيح والوصول إليه بهذا العشق . وإنّ ذلك يتمّ بالنسبة للبتولين بالقفز فوق العلاقة الجنسية التي هي صلب العلاقة الزوجية .

إن ما سبق من تعريف يذكرني بحديث الرسول بولس الذي قال فيه :

البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رو13: 14) .

إن من يلبس المسيح فستكون له صورة المسيح ، وبمقدار ما كان المؤمن متفرغاً للرب يسوع المسيح بمقدار ما حقق ذلك بأسرع ما يمكن وبمقدار ما كانت له صورة المسيح أكثر وضوحاً وكمالاً ، لكن هذا لا يتحقق بهذه الدرجة والسرعة عند المتزوج وذلك بسبب اهتماماته الزوجية وانشغالاته لصالح زوجته وأسرته .

إن أمنا العذراء القديسة الطاهرة مريم حققت المسيح في ذاتها تحقيقاً كاملاً ، فهي حملته في بطنها تسعة أشهر ثم أصبحت أمّاً ومربية له واستحقت أن تدعى أم الله . وفي بحثنا هذا سنحاول بمشيئة ربنا له المجد أن نسلط الضوء على مسألة استمرارية مريم العذراء عذراء ، وليس كما يقول البعض بأنها تزوجت بعد ولادتها للمسيح .

وسنجعل الحديث في أربعة أبواب :

1 - الباب الأول . اعتمادهم على ما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى .

2 - الباب الثاني . كان ضرورياً أن تظل مريم أم المسيح عذراء ولا تتزوج .

3- الباب الثالث . محاكمات منطقية في بتولية العذراء قبل الحمل بالمسيح وعند ولادتها له وبعد ولادتها له .

4- الباب الرابع . أمنا العذراء في ميامر الآباء السريان .

الباب الأول

اعتمادهم على ما جاء
في الإصحاح الأول
من إنجيل متى

جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى هذا الحديث : أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع (مت 1: 18-25) .

تحدثت الكثير من الفرق التي تتلاعب بالآيات على مزاجها وأنا أعتبرها خارجة عن الإيمان المسيحي بكثير من المصطلحات التي وردت في هذا الحديث ليطلعوا بهذه العقيدة الفاسدة التي يقولون فيها بأن العذراء تزوجت من يوسف بعد أن ولدت المسيح . ومن هذه المصطلحات : ((قبل أن يجتمعا . يوسف رجلها . لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . أخذ امرأته . لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر))

فماذا في شأن ما يقولونه ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نقدم فكرة تحليلية عن يوسف خطيب العذراء قبل خطبته لها .

نبتدئ حديثنا عن يوسف بوصف متى الرسول له بأنه كان باراً (مت: 1: 19) . وإن صفة البار لا يمكن أن نفهمها كما يجب إلا إذا عدنا إلى اللغة السريانية ، فهي في السريانية (كَلْمًا كينو) وتعني : العادل ، المستقيم ، البار ، الصادق ، الصائب . نتوقف برهة عند كل من هذه المعاني . عادل : هو من استقام في حكمه وأنصف . مصدرها العدل ، والعدل هو الاستقامة والإنصاف والميل إلى الحق وإحقاقه ، ويعني أيضاً الفداء . المستقيم : هو الذي لا يقبل الاعوجاج أبداً . البار : هو المؤمن الصادق ، الصالح ، المحسن ، المرفق ، المطيع ، الطاهر . وكل ذلك بتواضع ووداعة .

الصادق : هو من لا يقول إلا الحق . هو المُخْلِص . هو المستقيم .
الصائب : هو سديد الرأي .

إن المعاني السابقة تحدد لنا سمات يوسف بأنه كان رجلاً : مستقيماً ، منصفاً ، يعمل الحق ، طاهراً ، مخلصاً ، سديد الرأي ، لا يقبل الخطأ .

1- مستقيماً . فهو إذاً كان يفكر بالاستقامة ولا يقبل الاعوجاج .

2- منصفاً . يعطي كل ذي حق حقه .

3- يعمل الحق . يفكر بالحق ويرفض الباطل .

4- طاهراً . لا يقبل لا بالدنس الجسدي ولا بالدنس النفسي .

5- مخلصاً . لا يعرف الخيانة ولا يقبل بها ولا بأي شكل من أشكالها .

6- سديد الرأي . أي أنه كان متحلياً بالحكمة والفهم وكان وصائب الرأي على الدوام .

7- لا يقبل الخطأ . وهذا ما يؤكد الصفات السابقة جميعها .

من خلال هذه السمات التي كانت في شخصية يوسف نستطيع تحديد هويته على الشكل التالي :

- على الصعيد الروحي . كان مؤمناً عابداً وعبادته صالحة ومطيعاً لشريعة الله .
- على الصعيد الديني . كان متطوعاً وعارفاً بالأسفار المقدسة والأنبياء ، ودليل ذلك هو تذكير الملاك له بنبوّة أشعيا النبي القائلة : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل* الذي تفسره الله معنا . كما كان متديناً محافظاً على الطقوس والفرائض اليهودية ، وإن ما يؤكد ذلك هو ما جاء في (لو: 2: 21) حيث طبق هو ومريم الختان على يسوع في اليوم الثامن بحسب الناموس ، وما جاء في (لو: 2: 22) حيث أخذ مع

مريم الطفل يسوع وقدماه إلى الهيكل في اليوم الأربعين للتطهير بحسب شريعة موسى
وقدما عنه ذبيحة . وحينما رجعا يقول الكتاب : ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس
الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم التي تدعى ناصرة (لو:2: 39) . كما كان يوسف
محافظةً محترماً على تقليد الأعياد اليهودية وهذا ما نجده في (لو:2: 42) حيث يقول :
وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى اورشليم في عيد الفصح .
- على الصعيد العقلي . كان حكيماً وعاقلاً وذا عمقٍ كبيرٍ في التفكير ووضوحٍ شديدٍ في
الرؤيا .

* عمانوئيل هو اسم سرياني مركب من (حَصَّح . عامان . وتعني : معنا) و (هَوَّه . وتعني : هو)
و (گَمَلَّه . وتعني : الله) فيكون معنى التركيب كاملاً هو : معنا هو الله أو الله معنا .
- على الصعيد الاجتماعي . بالإضافة إلى أنه كان من نسل داود كان رجلاً بارزاً ومميزاً
بسبب صفاته تلك .
- على الصعيد النفسي . كان متزناً وورعياً .
- بالنسبة إلى سنه . كان كبيراً في السن ذلك أن خصائصه تلك لا يمكن أن تكون خصائص
شاب أو رجل متوسط العمر لاسيما على الصعيد العقلي والنفسي والاجتماعي .
كما أننا نستوحي من ملامح هوية شخصية يوسف بأنه كان متزوجاً حتماً لأنه لولا ذلك لكانت
عبادته غير مقبولة أمام ديانته ورؤسائها ، فإن الفكر اليهودي كان يلزم الرجل أن يكون متزوجاً
وكذلك المرأة أيضاً لأسباب عديدة منها زيادة النسل إلى درجة السماح بتعدد الزوجات أيضاً ،
وإن هذا موضوع قائم بذاته لا مجال للخوض فيه في بحثنا هذا .
إن ملامح هويته الشخصية هذه هي التي أعطته امتياز أن يختاره الله ليكون خاطباً راعياً للعذراء
ومربياً للطفل يسوع كلمته الإلهية .
خاطباً راعياً للعذراء ، فلا يفكر من جهتها أي تفكير في شهوة أو أنانية الرجل أو أي ما يتعلق
برغبة الرجل بالزوجة ، ومن جهة أخرى فإن التدبير الإلهي كان أن يظل أمر يسوع مخفياً عن الناس
إلى أن يبدأ البشارة ولذا فإن العناية الإلهية اختارت يوسف لسبب صفاته تلك فيكون أمام العن
هو رجل مريم وأباً ليسوع فلا تُعتبر مريم زانية أمام الشرع حينما ستحبل ، وبعد أن تلد يسوع لا

تكون حقيقته معروفة كي لا يتعطل التدبير الإلهي في الخلاص بل يتحقق وقد تحقق ونستدل على ذلك مما يلي :

- جاء في (يوحنا 1: 45) فيليس وجد نشايل وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة .

- في (يو 6: 41 - 42) أن اليهود تدمروا على المسيح وقالوا : أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفين بأبيه وبأمه ، فكيف يقول إنني نزلت من السماء .

أخيراً ما أجمل تحليل هذا الحديث : فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يرذ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكراً في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً : يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت 1: 19 - 21) .
يقول التحليل :

1- فكّر يوسف أن هذه هي العذراء التي قال عنها أشعيا : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل (أش 7: 14) .

2- قد لا تكون العذراء التي تنبأ عنها أشعيا فهي إذا زانية .

3- كلا . إنما طاهرة جداً فلا يمكن أن تكون زانية فإذا لا بد أن تكون العذراء التي في نبوة أشعيا .

4- إنني محتار لا أستطيع حسم الأفكار والاحتمالات فالأفضل أن أشهرها سراً ، فإن كانت هي عذراء نبوة أشعيا فإن الله يدبرها ، وإن لم تكن عذراء أشعيا فهي مسؤولة عن فعلتها وأما أنا فلا أوجد راعياً لزانية .

5- يتدخل الله بإرسال ملاكه ليحسم له صراعه النفسي ويؤكد له أنها عذراء نبوة أشعيا العظيمة الشأن عند الله . فكأنني بالملاك يقول له : طوباك يا يوسف إن الله اختارك لتكون راعياً لأَمّ كلمته المسيح وتصونها وتحافظ على قداستها كأَمّ الله . طوباك يا يوسف فإن الله اختارك لتكون غطاءً يستر شخصية المسيح إلى أن يبدأ بشارته .

6- إن من أخبر عن هذا الحديث هو يوسف نفسه وإلا فمن كان سيعلم بماذا كان يفكر في قلبه وإن الملاك جاء في حلمه وبين له الحقيقة ؟

7- إنني أتخيل كم كان يوسف سعيداً حينما استمع من الملاك بأن مولود العذراء هو المسيح الذي سيخلص شعبه من خطاياهم ، لأن يوسف كان واحداً من الذين ينتظرون فداءً في أورشليم حيث كان اليهود ينتظرون ذلك الفداء (لوقا: 2: 38) وإنه سيكون غطاءً لطفولته وغطاءً لأمه .

نعود الآن إلى سؤالنا الذي يقول : ماذا في شأن ما يقولونه ؟

نحلل ونناقش ونتوقف عند هذه الثلاثة :

1 - امرأتك امرأته .

2 - حتى ولدت ابنها البكر .

3 - لم يعرفها .

أولاً

امرأتك امرأته .

إن هذا المصطلح لم يكن يشير إلى حالة وجود الزواج بين المرأة ورجلها البتة ذلك لأن الناموس كان يعتبر المخطوبة امرأة لخطيبها . وفي ذلك أذكر هذه الآية التي وردت في الإصحاح 22 من سفر التثنية التي تقول : إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدتها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى خارج باب تلك المدينة وارجوهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم

تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذلَّ امرأةً صاحبه (تث23:22) . ويلاحظ أن جلَّ جلاله في بداية هذه الآية يسمى الفتاة مخطوبة وفي نهاية الآية يسميها امرأةً خطيبها . لكن المعروف منذ القديم وحتى الآن أن المخطوبة تظل غير ملتزمة بحق العيش والمضاجعة مع خطيبها كالتزام الزوجة مع زوجها . فلماذا إذاً يسمى الناموس الخطيبة امرأةً خطيبها ؟

الجواب : إن المسألة في العهد القديم لم تكن كما هي في العهد الجديد ، إذ أن الخطوبة في العهد الجديد لا تعني الارتباط النهائي الذي لا يفسخ إلا بالطلاق كما كان في العهد القديم ، بل إن الخطوبة في العهد الجديد هي مرحلة ابتدائية يُعدَّ فيها الخطيبان نفسيهما لأن يتكللا إكليلاً كنسياً بموجبه يصبحان زوجين شرعيين فإذاً لا يمكنهما أن يصبحا زوجين شرعيين دون الإكليل الكنسي . أما في العهد القديم فلم يكن هناك ما يسمى بالإكليل الكنسي بل إن الأمر بكامله كان يبدأ وينتهي في الخطوبة ، حيث كانت الفتاة تسمى حين الخطوبة امرأةً خطيبها شرعاً بمعنى أنهما كانت تكتب على اسم خطيبها كأمراة ، وبالتالي فمن دون أن يطلقها ما كانت قادرة على الزواج من غيره مهما ظلَّت مخطوبة وهي في بيت أبيها . مع ملاحظة أن فترة الخطوبة وعلى الرغم من تسمية المخطوبة امرأةً خطيبها كانت تعدُّ أيضاً مرحلة تمهيدية لا يتزوجان فيها بل كانت العروس تعدُّ فيها نفسها ليوم الزفاف وكذلك العريس ، ونورد هذه الأمثلة :

- قال يعقوب أبو الأسباط للابان والد لينة وراحيل زوجتا يعقوب وذلك قبل أن يخطب أيّاً منهما : أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى . فاتفقا على ذلك وحينما انقضت السبع سنين قال يعقوب للابان : اعطني امرأتني لأن أيامي قد كملت . ومن قراءتنا لـ (تك29:17-21) . نلاحظ أنهما بمجرد أن اتفقا فإن راحيل سُمِّيَت امرأةً على اسم يعقوب ولكنهما لم يجتمعا اجتماع زواج طيلة مدة الخطوبة ودليل ذلك هو قول يعقوب للابان : أعطني امرأتني ولم يقل أعطني خطيبتي .
- ورد في الاصحاح 22 من سفر الخروج : إذا وَجَدَ رجلٌ عذراءً لم تُخَطَّبْ واضطجع معها يُمهرها لنفسه زوجة ، إن أبي أبوها أن يعطيه إياها زوجة يزن لها فضة كمهر العذراء (خر22:16-17) .

نلاحظ في هذه الآية اختفاء مصطلح (امرأة) وذكر مصطلح الزوجة وذلك لأن فعل الاتصال الجنسي قد حصل ولو أن حصوله كان بالاعتداء بدافع من الشهوة الرديئة بعيداً عن أية نية

للخطوبة ، ولذا فإنه بمجرد أن ضاجعها فإنها لم تُعدْ عذراء بل وبالتصنيف المجرد فإنها أصبحت زوجة له . ولذا فإن الله تبارك اسمه أمر أن هذا المعتدي وعلى وجه السرعة يمهرها لنفسه زوجة وليس امرأة مخطوبة . وهذا تأكيد على أن مفهوم المرأة المخطوبة كان مختلفاً تماماً عن مفهوم المرأة الزوجة .

بالمختصر : كانت المرأة المخطوبة عذراء ، وتظل عذراء مستمرة في بتوليتها إلى حين زفافها لخطيبها لتتحول حينئذ إلى زوجة وتفقد صفة العذراء المخطوبة لأنها والحالة هذه تفقد عذراويتها . هذا وإنه لا بد من ذكر ملاحظة هامة ألا وهي : إذا حدث أن اختلى الخطيب بخطيبته سراً وضاجعها فإن فعله ذلك لم يكن خاضعاً لحكم الرجم أو غيره من الأحكام بل كان الأمر يعتبر أن هذه الفتاة إذ كانت مخطوبة له فهي كانت امرأته وهو بمضاجعتها لها لم يعتد عليها ولا على أحد غيرها ، ومن هذا المنطلق فإن العناية الإلهية شاءت أن تحطّب العذراء ليوسف لكي حينما سيظهر عليها الحبل بالمسيح فإن الناس يظنون أن ذلك هو من يوسف كونه خطيبها فلا يعتبرونها زانية ويرجمونها حتى الموت . وهذا أيضاً ما يفسّر قول الملاك ليوسف : لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك كما أن يوسف لو لم يأخذ العذراء إلى بيته فإن الناس كانوا سيتساءلون عن سبب الحبل ويؤولونه إلى أنها زانية وكانت سترجم .

ملاحظة هامة : إن كل الدلائل تشير إلى أن خطوبة العذراء ليوسف كانت بتدبير إلهي كما ذكرنا قبل قليل كي لا تعتبر زانية حينما تظهر عليها علامات الحبل ومن ثم لا ترجم . كما إنني أذكر حرفياً ملاحظة جاءت في قاموس الكتاب المقدس ص118 وهي : لما كنا لا نسمع إلا عن أعمال العذراء مريم بعد ظهور يسوع للخدمة الجهارية بين الناس ، يغلب على ظننا أن يوسف مات قبل أن يشرع يسوع خدمته العلنية .

ثانياً

حتى ولدت ابنها البكر

ويقولون : إن معنى هذه الآية هو أن يوسف لم يتزوجها حتى ولدت ابنها البكر ، وبعد أن ولدته فإنه تزوجها . أي بعد أن ولدت ابنها يسوع المسيح فإنه تزوجها .

الرد : إذا كان المقصود بكلمة (لم يعرفها) أي لم يتزوجها فإنهم في ادعائهم هذا يثبتون جهلهم بقواعد اللغة أولاً وباستخدام مفرداتها ثانياً .

أولاً : إن الحرف حتى في قواعد اللغة يستخدم في ثلاث حالات رئيسية وهي

الحالة الأولى : للتأكيد على انتهاء الفعل كالقول : مشى أفرام باتجاه الكنيسة حتى وصل .

نلاحظ أن الحرف حتى في هذه الحالة قد أكد على انتهاء فعل المشي بالوصول إلى الكنيسة ، أي أن أفرام بعد أن مشى باتجاه الكنيسة قد وصل ولم يعد يمشي .

الحالة الثانية : للإشارة إلى انتهاء الفعل بفعلٍ ثانٍ مع الإشارة إلى فعلٍ ثالثٍ مستترٍ كالقول :

ذهب سمعان إلى السوق حتى اشترى ما يلزمه . ونلاحظ هنا أن الحرف حتى في هذا المثال قد أشار إلى أن فعل الذهاب قد انتهى بذكر فعل الشراء كما أشار إلى فعلٍ ثالثٍ مستترٍ لم يذكر ألا وهو فعل الوصول لأنه لو لم يصل سمعان إلى السوق لما اشترى ما يلزمه .

الحالة الثالثة : للدلالة على عدم انتهاء الفعل إلى الأبد كالقول : لم تحبل ماجدة حتى ماتت . ونلاحظ في هذه الحالة احتمالين بارزين :

الاحتمال الأول : إذا كانت ماجدة متزوجة فهذا يعني أنها كانت عاقراً أو أن زوجها كان عاقراً أو أن كليهما كانا عاقرين أو أنهما لم يرغبوا في إنجاب البنين البتة ، ومهما يكن الأمر فإن الحرف حتى أشار إلى عدم انتهاء حالة عدم الإنجاب لدى ماجدة إلى أن ماتت وبالتالي فإنه ليس ممكناً أن ماتت بعد أن ماتت قد حبلت في قبرها .

الاحتمال الثاني : إذا كانت ماجدة عذراء فهي إذاً لم تتزوج كي تحبل حتى ماتت وهنا أيضاً نلاحظ أن الحرف حتى يشير إلى عدم انتهاء حالة عدم الإنجاب لدى ماجدة فماتت وهي عذراء وبالتالي أيضاً فليس من المعقول أن ماتت بعد أن ماتت تزوجت في قبرها وحبلت ثم أنجبت .

هنا السؤال الذي يطرح نفسه ليقول : إذا كان المقصود بالقول (لم يعرفها) أي لم يتزوجها ، فبأي من الحالات السابقة قد استخدم الحرف (حتى) في الآية : ولم يعرفها حتى ولدت ابنتها البكر ؟ بالتأكيد إن الحرف حتى قد استخدم بحسب الحالة الثالثة وذلك كما أن ماجدة التي لم تحبل حتى ماتت فإنها لم تحبل بعد أن ماتت ، هكذا أمنا العذراء لم يكن لها أية معرفة بالزواج لا بالنية ولا بالفكر ولا بالتصور بينها وبين يوسف ذلك لأنها كانت عاقراً تماماً عن شهوات الجسد وميوله ورغباته وعن كل ما من شأنه أن يغدّي شهوات الجسد ، وكانت عاقراً أيضاً في الرغبة بالزواج إن بالفكر أو بالتصور أو بالطموح ، أي أنها كانت في نفسها أيضاً عاقراً عن كل شيء سوى عن مجد الله ومحبتها له .

هذه العقورية كانت قد تولدت فيها وترسخت بسبب طهارتها الفائقة نفساً وجسداً إضافة إلى برارتها العظيمة وتكريسها لجسدها كي يكون خادماً تماماً لمجد الله تبارك اسمه تكريساً كاملاً . أي أنها كانت متحدة مع الله نفساً وجسداً وذلك قبل حملها بالمسيح وكانت منسحقة في حبه تبارك اسمه . وبالمقابل إن هذا كله ما كان ليكون لو كانت لها أدنى درجة من درجات الشهوة الجسدية أو الرغبة كغيرها من الفتيات بما يسمى فارس الأحلام إلخ وذلك على حد قول الرسول بولس الذي نطق بالروح القدس قائلاً : الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد (غل5: 17) .

وربّ معترض يقول : من أين هي هذه المعلومات عن أن العذراء كانت طاهرة طهارة عظيمة جداً وكانت لها برارة فائقة وكانت قد كرسّت جسدها لمجد الله تعالى ؟ نردّ بسؤال أيضاً فنقول : هل من المعقول أن الله يختار لابنته أمّاً ليحلّ في أحشائها ويولد منها ليناديها بالقول (يا أمي) إن لم تكن طاهرة طهارة كاملة ، وبارة برارة فائقة ، ومكرّسة جسدها ونفسها لمجد الله تكريساً كاملاً وتاماً ؟

الجواب : بالتأكيد لا . ويكفي أنه اتخذ له جسداً من جسدها بعد أن حرره من الخطية الأصلية بحلول الروح القدس ، وجسد المسيح كما نعلم يقيناً أنه كان جسداً نقياً وطاهراً ومقدساً كاملاً بما لا يقبل الشك أبداً ، بمعنى أن جسد العذراء كان أساساً لجسد السيد المسيح في كل كمالاته .
إذاً : إن أمنا العذراء كانت قبل أن تحبل بالمسيح له المجد عاقراً عن كل ما للجسد أي أنها كانت مائتة عن كل ما للجسد من شهوات ورغبات وميول إلخ . فهل بعد أن تكلمت عقوريتها

هذه بأن حلّ الروح القدس عليها وفيها وقدّسها تقديساً تاماً وحلّ كلمة الله في أحشائها واتخذ له منها جسداً وولده وأصبحت أمّاً له ، هل يعقل بعد كل ذلك أنها تعود لتتنكر لعقوريتها تلك وتتنكر لرحمها الذي مكث فيه المسيح تسعة أشهر وتزوج بإنسان ؟ أي عقلٍ يقتنع ويقبل بهذا إلا العقول الفاسدة ؟

وفي هذا الأمر يقول علم النفس : إن الأم حينما تكون حبلية فإنها تشعر في أثناء الحمل أن هذا الجنين الذي في بطنها هو جزء منها لا يتجزأ وهي سعيدة جداً بهذا الشعور فتنتظر بفارغ الصبر أن يولد لتمارس معه أمومتها التي هي فيضٌ متدفق من الحب والحنان ، وحينما تلد الذي في بطنها وتمارس معه أمومتها فإنها تنسحق حباً له أكثر فأكثر إلى درجة إن احتاج الأمر أنها تهمل بعضاً أو كثيراً من واجبات زوجها في سبيل طفلها فإنها لا تتأخر ، ولا عجب في ذلك لأنها بذلك تقدم إنساناً للعالم هو جزء من جسدها ومن كيانها ، ولعل هذا هو واحد مما عناه ربنا يسوع المسيح في قوله : المرأة تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأن إنساناً قد ولد في العالم (يوحنا 16: 21) . ومن هذا المنطلق نقول : إن أمنا العذراء التي كانت منسحقة في حب الله ومنتحدة معه نفساً وجسداً ، فإنها ازدادت انسحاقاً في محبته واتحاداً به حينما حلّ في أحشائها ، وحينما ولده بالجسد صارت تناديه : يا بني وهو يناديها يا أمي ، وبذلك فإنها ازدادت محبة بل انسحاقاً في محبته أكثر فأكثر إلى حد لا يتصوره العقل البشري . أي أنها ازدادت أكثر فأكثر موتاً عما للجسد إلى حد لا يتصوره العقل البشري . هذا ما تؤكد قواعد علم النفس إلا إذا كانوا يرفضون المبادئ العلمية .

هذا وإذ أننا قلنا : أيُّ عقلٍ يقبل هذا ؟ فلنسأل العقل إذاً عن هذه المسألة ليجري لنا هذه المحاكمة العقلية ويقول :

من ناحية . إن حبل العذراء بابن الله وولادتهما لم يكن اتفاقاً نفعياً الذي ما إن تحقق حتى ذهب كل واحد منهما في حال سبيله منصرفاً إلى أموره الخاصة ولم تعد له علاقة بالآخر . وهذا ما تؤكد تعاليم المسيح لأنه له المجد قد أكد في بشارته أن مثل هذه العلاقات النفعية مرفوضة بين أي إنسان وآخر وبينه وبين الإنسان أيضاً فكيف بينه وبين أمه ؟ ومن تعاليمه في ذلك أذكر قصة هؤلاء العشرة رجال البرص ، الذين حينما التقوا يسوع له المجد رفعوا صوتاً قائلين : يا يسوع يا معلم ارحمنا وحينما شفاهم له المجد لم يرجع منهم إليه إلا واحداً سامرياً ، فقال له يسوع :

أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس (لو 17 11-18) . فكأني به يقول : إن هؤلاء إذ تحققت منفعتهم لم يعودوا لأنهم بالأساس ما أرادوني إلا لمنفعتهم لذا فإنهم ذهبوا بعد أن شفيوا ولم يعودوا لأنهم لم تعد لهم منفعة معي .

من ناحية ثانية . يقول العقل أيضاً : إن الإنسان كائن طموح يسعى دائماً إلى الأفضل ، وحينما ينال الأفضل فإنه يطمح في الأفضل منه وفي كل الأحوال لا يعود ليرغب في الأدنى ولا يطلبه ، وحتى إن فرضَ عليه الأدنى فإنه لا يقبله راضياً بل بغيرِ رضا وذلك لأنه ذاق طعم الأفضل .

والآن وبموجب هذه الحاكمة العقلية نقول : إن أمنا العذراء لم تحصل على الأفضل فقط بل حصلت على الأفضل من كل أفضل على الإطلاق . إنها حصلت على استحقاق أن تصبح أمّاً لله ، وهذه أمومة غير منتهية ولا تموت لأن الله غير منته ولا يموت وليس كأمومة البشر التي تنتهي بموت البشر . ولذا فإذا بعد أن حصلت على الأفضل من كل أفضلٍ وذات حلاوة هذا الأفضل الذي لا يموت التي هي حلاوة وعذوبة كاملة مطلقة دائمة ، لا يمكن إذاً أنما عادت لتطلب الأدنى المنتهي بالموت خاصة وإن هذا الأدنى لا تقارن حلاوته وعذوبته أبداً بحلاوة الله وعذوبته آمين .

ثالثاً

لم يعرفها : _____

ليس من الضروري أن يُستخدم مصطلح المعرفة للدلالة فقط على فعل الزواج والاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ، بل إن هذا المعنى هو واحدٌ فقط من المعاني الكثيرة جداً لمصطلح المعرفة . نذكر منها :

- عرف رامي جاره متعلماً ، أي أنه علم أن جاره إنسان متعلم .
- عرف باسل كيف يصلح المدفأة ، أي صار يلم بكيفية وطريقة تصلح المدفأة حينما تتوقف عن العمل .
- عرف طريقة حفظ الدرس ، أي أنه اهتدى إلى الأسلوب الأمثل في حفظ الدرس .
- عرف ما في الكتاب المقدس بعد أن قرأه مراتٍ عديدة ، أي أنه بعد أن قرأه جيداً ولعدة مرات صار مثقفاً بمعرفة آياته .
- عرف كيف يتعامل مع الكمبيوتر ، أي أنه صار يعلم كيفية استخدام الكمبيوتر استخداماً سليماً .
- عرف الوقت المناسب للتدخل في المشكلة الفلانية من أجل حلّها ، أي أنه استدل جيداً إلى الوقت المناسب للتدخل وحلّ المشكلة .
- عرف نقاط ضعف صديقه ، أي صار يدرك ما يضعف عنده صديقه .
- لم يعرف التلميذ قيمة معلمه إلا بعد أن أصبح معلماً ، أي لم يكن له إدراك حقيقي لقيمة معلمه إلا حينما أصبح هو معلماً وصار يدوق تعب التعليم من أجل تلاميذه .
- عرف جيداً قيمة والديه حينما أصبح هو أباً ، أي أنه دخل جيداً في العمق الروحي لتعب الوالدين مع أبنائهما حينما أصبح هو أباً في حين كان خارجاً عن هذا العمق حينما لم يكن متزوجاً وله أولاد .

- عرف الصالح من الطالح ، أي أنه صار يميّز بين ما هو صالح وما هو طالح .
 - لم يعرف قيمة الصحة إلا حينما أصيب بمرض ، أي أن معاناته بسبب المرض ولدت فيه إحساساً عميقاً بأهمية الصحة لأن هذا الإحساس لم يكن لديه قبل أن يصاب بالمرض .
 - عرف عامراً مهندساً ، أي حينما التقى به أو سأل عنه تبين له بأنه مهندس ..
- والأمثلة كثيرة جداً التي تدل على أن معاني مصطلح المعرفة كثيرة جداً وإن واحداً فقط من هذه المعاني هو ما يشير إلى اللقاء الجنسي بين الرجل وزوجته . ولذا فإننا بمقارنة هذه المعاني وغيرها مما لن نذكره بالقول : (لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر) نجد :
- إن يوسف كان إنساناً وكانت مداركه مدارك إنسان التي مهما سمت وتفتتت فإنها تظل قاصرة عن إدراك الإلهيات ، وبالتالي فإنه ظل عاجزاً عن معرفة وإدراك كامل قيمة العذراء وكرامتها عند الله وذلك بالرغم مما حدّته الملاك عنها إلا حينما ولدت ابنها يسوع المسيح له المجد ، فإنه (أي يوسف) قد لاحظ منذ أيام قليلة قبل ولادة المسيح مروراً بولادته وحتى يوم الأربعين ضمناً أن كل شيء صار يتحرك أو يحدث بشكل غريب عن المألوف وعجيب يصبُّ في تمجيد ابنها يسوع المسيح له المجد وتمجيدها أيضاً من خلاله . مثلاً :

- قبل ولادة المسيح له المجد أصدر أغسطس قيصر إمبراطور روما آنذاك أمراً يقضي باكتتاب جميع شعب إمبراطوريته (لو 2: 1) ربما لأنه كان يريد أن يعلم كم عدد سكان إمبراطوريته أو لغاية معرفة عدد الشبان من أجل بناء جيش حديث للإمبراطورية آنذاك أو ربما من أجل أن يكون قادراً على حساب كم سيكون وارد الإمبراطورية من جمع الضرائب ، والاحتمالات كثيرة ... وكان أمر الإمبراطور ينص على أن يذهب كل إنسان ويكتب في مدينته التي ولد فيها (على طريقة الإحصاء في أيامنا هذه) . وكان يوسف في أصله من مدينة بيت لحم فذهب ككل الناس ليكتب في بيت لحم ، وربما أنه لولا ذلك الاكتتاب لما فكر بالذهاب إلى بيت لحم في ذلك التوقيت بالذات ، فكأنى به إذا يؤخذ إلى بيت لحم أخذاً كون أن الأمر كان من الإمبراطور . وإذا أن مريم كانت مسجلة مكتوبة على اسمه لذا فإنه أخذها معه مضطراً للاكتتاب في بيت لحم (مضطراً أن يأخذها معه . فإلّا كانت في أيامها الأخيرة للحمل وهي أيام تمنع المرأة الحامل من العمل المتعب أو السفر المضني ... إلخ لكنه اضطر لأن الأمر كما ذكرنا كان من الإمبراطور) . نعم كانت التسعة أشهر حبلها بالمسيح قد شارفت على الانتهاء . كان يوم وصولهما إلى بيت لحم هو آخر يوم في مدة حبلها

بالمسيح فولدته هناك في بيت لحم في مغارة وأضحجه في مذود فيها وتحققت حينذاك سائر النبوات التي تحدثت عن أن المسيح سوف يولد في بيت لحم .

نعم . إن يوسف كان يعلم أن تعاليم الله تدعو إلى التواضع والانسحاق من أجل أن يصل المؤمن إلى القداسة ولكن ليس بهذه الصورة ولا بهذا الشكل الغريب . فكان أمام ذلك أنه عرف أي أدرك جيداً أن العذراء قد ولدت ملك التواضع والانسحاق من جهة ومن جهة ثانية فإنه وجد أن مئات من السنين التي مضت على تلك النبوات قد رست في تلك المغارة في لحظة ولادة العذراء للمسيح له المجد فعرف أي أدرك أكثر فأكثر قيمة العذراء عند الله الذي حقق فيها نبوات الأنبياء .

- حينما جاء الرعاة وأخبروا عما رأوه وسمعوه من الملائكة الذين نزلوا من السماء وبشروهم بولادة المخلص العظيم الذي كان الجميع ينتظر ظهوره بفارغ الصبر ذاكرين بالحرف قول الملاك لهم : ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مَقْمَطاً مضجعاً في مذود . وذكروا أيضاً كيف أن الملائكة أنشدوا لهم بهذه المناسبة أعظم وأروع أنشودة سلام : المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة (لوقا: 8-41) . وأمام حديث الرعاة هذا فإن يوسف عرف أكثر فأكثر أيضاً عن قيمة وكرامة العذراء لأنه لمس بأحاسيسه مولودها المسيح مخلص البشرية ولمس تحقق الحلم الذي كان شعبه ينتظر تحققه منذ مئات بل آلاف السنين .

- لما تمت ثمانية أيام ليختتن الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك الذي ظهر ليوسف . وهنا ازدادت معرفة يوسف بقيمة العذراء عند الله التي أن رئيس ملائكة السماء يتزل ويصعد لأجل كرامتها ويعلم عن تحقق مشيئة الله الخلاصية بواسطتها إذ أصبحت أما لكلمته مخلص البشر .

- في يوم الأربعين حينما صعدوا إلى اورشليم فإن سمعان الشيخ الذي كان له من العمر مئات السنين وكان قد أوحى إليه أنه لن يذوق الموت قبل أن يرى مسيح الرب (لوقا: 26) وكان ذلك معلوماً لدى الجميع ومنهم يوسف أيضاً . سمعان ذاك أتى بالروح إلى الهيكل واستقبل العذراء وابنها يسوع ثم تناول يسوع وحمله على ساعديه وكأنه رجل لا يزال يملك قوته العضلية كرجل ، ثم بارك الله مخاطباً الطفل يسوع كمن يخاطب الله قائلاً : الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام فإن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام وجه الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه وباركهما سمعان وقال لمريم : ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوم ، وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف لتعلن أفكار من قلوب

كثيرة (لوقا: 25-35) . وهنا أيضاً في وسط هذا الجو المذهل صار يوسف يعرف أكثر فأكثر عن أهمية العذراء عند الله وكأني به كان يقول في نفسه حينذاك : يا إلهي ما هذا ... ما هذه العظيمة ... ما هذه الكرامة اللامحدودة التي حظيت بها هذه العذراء عند الله ؟

- أيضاً حنة بنت فتوئيل التي كانت أرملة نحو أربعة وثمانين سنة بعد أن قضت مع زوجها سبع سنين . أي أن عمرها كان حوالي الـ 110 سنوات على وجه التقريب وكانت لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً وكانت هي الأخرى معروفة في الوسط الديني والاجتماعي بمكانتها المحترمة كإنسانة مؤمنة تقيّة عابدة على الدوام . أي أنّها كانت قد حظيت باحترام وتبجيل الجميع ، إنّما في تلك الساعة قامت تسبح الرب وتكلّمت عن المسيح له المجد مع جميع الموجودين المنتظرين فداءً في أورشليم (لوقا: 36-38) . وكان يوسف يشاهدها ويسمعها وهي تخبر عن الطفل يسوع وتعظمه ، وهذا أيضاً مما زاده معرفة وإدراكاً يقينياً بأن هذه العذراء ذات شأن عظيم عند الله يفوق حدود التصور البشري .

وبعد كل ذلك نطرح هذا التساؤل . لماذا هذا الإصرار على المعنى الذي يقول : لم يعرفها ... أي لم يتزوجها حتى ولدت ابنها البكر وبعد أن ولدته تزوجت ؟ أليس هذا إصراراً مغرضاً غايته الإقلال من شأن أمنا العذراء ليصل الأمر في النهاية إلى مسيحية مفرّعة من المسيحية ؟

الباب الثاني

كان ضرورياً أن تظلل

العذراء عذراء

ولا تتزوج

إن لكل أمرٍ ضرورةً تفرض نفسها عليه ليس قسراً ولا كرها بل إرادة . وإن سبب ذلك هو أن هذه الضرورة تكسبه قوة وثباتاً ، وإن كان الأمر راقياً فتكسبه أيضاً سمواً ورفعة وتمنحه أهمية ، وتظهره في بهائه وجماله وروعة وجوده . وإن أمتنا العذراء كان ضرورياً أن تظلّ عذراء ولا تتزوج وإن هذه الضرورة ستتجلى لك أخي المؤمن أخي المؤمنة مما سيأتي . فلنبتدىء بهذا السؤال :

لماذا كان ضرورياً أن تظلّ مريم العذراء عذراء ولا تتزوج ؟

الأسباب كثيرة نذكر منها :

السبب الأول

((لو أنها تزوجت فهي قد أعلنت أنها قهتتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها)) .

نبدأ الحديث عن هذه المسألة بحديث للرسول بولس مخاطباً جنسيّ الرجال والنساء متزوجين وعازبين قال فيه : وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسنٌ للرجل ألا يمسه امرأة ولكن لسبب الزنا ليكون لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها . ليعرف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تنفروا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم . ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر لأنني أريد أن يكون جميع الناس

كما أنا . لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله . الواحد هكذا والآخر هكذا وأما العذارى فليس عندي أمرٌ من الرب فيهنّ ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الله أن يكون أميناً . فأظن أن هذا حسنٌ لسبب الضيق الحاضر أنه حسنٌ للإنسان أن يكون هكذا . أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال . أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك وإن تزوجت لم تخطئ . وإن تزوجت العذراء لم تخطئ . لكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد وأما أنا فأبني أشفق عليكم . فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين سيكون كأنهم لا يكون ، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون ، والذين يشترتون كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول . فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم للرب كيف يرضي الرب ، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته . إن بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها (1كو7) .

تفسير حديث الرسول بولس :

1- كما يتضح من سياق الحديث نستنتج أن أهل كورنثوس كانوا قد كتبوا إلى الرسول بولس يستفسرون منه عن أمور في الزواج ، وعن علاقة المتزوجين مع بعضهم ، وعن العازبين وتفكيرهم في الزواج أو عدمه ، وبخاصة علاقة الزوج بزوجته بعد أن نالوا نعمة الإيمان والعماد . وربما كان الباعث على ذلك تعليم بعض الرسل الكذبة الذين كانوا يدعون إلى امتناع الزوجين عن بعضهما ، وإما إلى توهم البعض منهم إلى أن الإيمان يدعو إلى إلغاء العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته إلخ . فأجابهم الرسول بولس على أسئلتهم بأن مدح العفاف وذم الزنا مسلماً بشرعية العلاقة الجنسية بين الزوجين على أن تكون مقرونة بالعفاف . إنما إن استطاع الإنسان أن يمتنع عن هذه العلاقة أيضاً فهذا أحسن لأن ذلك يقربه من طبيعة الملائكة الأطهار بحسب ما قال ربنا يسوع المسيح : لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونوا كملائكة الله في السماء (مت 22: 30) والأمر في ذلك يكمن في إرادة المؤمن حينما يقهر الشهوة فينمو ويزداد في البر والقداسة والمنفعة الروحية .

2- ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها . وكأني بالرسول بولس يقول : إن الإنسان قد تتقاذفه أمواج الخطية وبخاصة الشهوة الرديئة ، فإن لم يستطع قهرها

فهو إذا سيعيش الزنا بالشهوة بحسب ما أكد ربنا يسوع المسيح له المجد حينما قال : إن كل من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه (مت 5: 27) وفي هذه الحالة إن اقترب الإنسان من زوجته فإنه يفعل حسناً كي لا تجد الخطيئة تربة خصبة لها في نفسه وهكذا المرأة أيضاً .

3- ليعرف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل . وهذا الحديث هو تأكيد من الرسول بولس على أنه إن لم يستطع الزوجان قهر الشهوة فإن لكل منهما على الآخر حق يجب أن يوفيه وذلك في إطار قداسة الزواج .

4- ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . هنا يشير الرسول بولس إلى أكثر من مسألة منها أنه لا يجوز للرجل أن يهب نفسه إلا لزوجته وكذلك الزوجة أيضاً . ومنها أيضاً ضرورة التحلي بالحشمة وتغطية الجسد بلباس الحشمة وليس كما تفعل الكثير من نساء وفتيات اليوم .

5- لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تنفروا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم . وإن واحدة مما يقصدها الرسول بولس هو في حال عدم قهر شهوتكم فليكن لقاءكم مهذباً بالموافقة (برضا الطرفين) ثم تنصرفون إلى الصوم والصلاة فلا تشوب عبادتكم تجربة شيطانية فيغلبكم إبليس .

6- ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا . وهنا يعلن الرسول بولس أن الزواج بجملته إذ فيه تعارف جنسي فهو يلغي البتولية ، لذا فهو ليس إلزامياً بل اختيارياً ، وإنه إن اختار المؤمن البتولية فإثماً ذلك هو نجد الله كما أنه (أي الرسول بولس) يتول مكرسٌ لمجد الله .

7- لكل واحد موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا . أي أن لكل واحد الموهبة التي أرادها هو من الله والله يباركها له . فهذا الذي اختار الزواج فبارك الله له زواجه ، وهذا الذي اختار البتولية فباركها الله له إن صامها ، وهذان المتزوجان قد اختارا أن يقلعا عن الاتصال الجنسي بقهر شهوات الجسد فيبارك الله لهما قرارهما إن ثبتا فيه وهكذا .

8- وأما العذارى فليس عندي فيهن أمرٌ من الرب ولكن أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسنٌ للإنسان أن يكون هكذا .

وقد يتساءل المرء بأنه هل يجب حفظ البتولية أم لا ؟ فإن الرب لم يأمر المسيحي بأن يحفظ البتولية وكذلك أيضاً لم يأمره أمراً بأن يتزوج ؟ يجيب الرسول بولس قائلاً : أعطي رأياً كمن رحمه الرب .

أي أن كوني إنساناً قد أنعم الله عليه بالحكمة الإلهية وأوكلني أن أكون أميناً على تعاليمه الإلهية وعلى المؤمنين فيني أقول : إن ظلّ البتولين (من الجنسيتين) على حالهم دون زواج فإن هذا أفضل لسبب الضيقات الكثيرة التي تفرضها الحياة الزوجية على كلا الزوجين ابتداءً من واجباتهما الجنسية أحدهما تجاه الآخر مروراً وانتهاءً بالواجبات الأخرى الكثيرة اليومية المعروفة والغير معروفة التي تظهر مع الأيام وهي أيضاً كثيرة . ولذا فإن ظلّ الإنسان بتولاً فإنه قد أعفى نفسه من كل تلك الالتزامات والواجبات التي لا بد وأنها تسرق الإنسان من ربه كثيراً ، فيستطيع وحالة البتولية أن ينصرف لعبادة الرب بكل ما لديه من إيمان ورجاء ومحبة وقدرة وهذا ما يذكرنا بذلك الحديث الذي قاله ربنا يسوع المسيح : هناك خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل (مت 19 : 12) .

9- أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال . أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة . ولكنك إن تزوجت لم تخطئ وإن تزوجت العذراء (آية فتاة بتول) لم تخطئ ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد . أي لا يجوز لمن هو مرتبط بامرأة أن يطلب الطلاق لأي سبب كان لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان (مت 19 : 6) باستثناء السبب المسموح به للطلاق . كما أن غير المتزوج فيستحسن ألا يطلب الزواج ، فبالرغم من شرعية الزواج إلا أن للمتزوجين ضيق في الجسد يتجلى بداية بالممارسات الجنسية ثم في أتعاب شتى ابتداءً من هموم الأولاد مروراً بلقمة العيش وسلامة الأسرة على كل الأصعدة وانتهاءً بكل ما يختص بالأسرة . هذه كلها أتعاب تُحمّل على كسفي الزوجين من شأنها أن تُضعف عبادتهما أو ربما تنعدم عند البعض الضعيف الإرادة والمحبة . ولذا فيني في كلتا الحالتين أشفق عليهما لأنهما لا يستطيعان أن يحققا بشكل عال تحقيق قول الرب في الحياة الروحية : كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل (مت 5 : 48) .

ملاحظة : لا يريدنا الرسول بولس أن نفهم أن الزواج محرّم أو أنه بشعّ مقرفّ وإنه يوجّه إرادة المؤمنين إلى رفضه . كلا ليس الأمر كذلك بل إنه يريد تبيان أمر هام ألا وهو أن الزواج لا يسمح بعبادة الله عبادة كاملة مثلما تسمح البتولية المكرّسة للعبادة كما سيتضح مما يلي .

10- فأقول هذا أيها الأخوة منذ الآن الوقت مقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم والذين يبيكون كأنهم لا يبيكون ، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون ، والذين يشترتون كأنهم لا

يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم كأهم لا يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول ، فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فيما للرب ، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته . وأما بين الزوجة والعدراء فرقاً ، غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ، وأما المتزوجة فيهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها إذاً من يتزوج يفعل حسناً ومن لا يتزوج يفعل أحسن .

يريدنا الرسول بولس

- 1 (أن ننتبه إلى مسألة هامة جداً ألا وهي أن حياة الإنسان قصيرة وإن طالت ، فليسع المؤمن ويجد في الحياة الروحية بتركيز عالٍ ولا يجعل الاهتمامات العالمية تؤثر سلباً عليه .
- 2 (المؤمن المسيحي الذي اختار البتولية لأجل مجد الله يهتم بالله على الدوام أما المتزوج فإن اهتمامه بالله هو أضعف مما عليه عند البتول وإن سبب ذلك هو التزامه بشريك حياته وبكل ما يقوم على مصالحه ولذا فإن هناك فرقاً كبيراً بين المتزوج وبين البتول .
- 3 (قداسة النفس والجسد عند البتول هي أكبر مما هي عليه عند المتزوج .
- 4 (يعود الرسول بولس ويؤكد بأن لا يفهم المؤمن حديثه خطأً ، فمع أن الزواج يضعف اهتمام الإنسان بالله إلا أنه غير نجس .

ومن خلال ما سبق من حديث الرسول بولس نستطيع استخلاص الكثير من المسائل منها :

- 1- إن استطاع الإنسان الامتناع عن العلاقة الجنسية فهذا أحسن .
- 2- امتناع الإنسان عن العلاقة الجنسية يقربه من طبيعة الملائكة الأطهار الراسخين في الطهارة والبرارة والصلاح .
- 3- للرجل حق على زوجته وهي ملزمة بحقوقه وواجباته وكذلك بالنسبة للمرأة .
- 4- إن الزواج يفرض سلطاناً للزوج على جسد زوجته ، وسلطاناً للزوجة على جسد زوجها .
- 5- الاتصال الجنسي بين الزوجين الغير قادرين على ضبط الشهوة هو تلافي لتجربة الشيطان لهما .

6- الرسول بولس يفضل البتولية على الزواج ، لأن البتولية تعكس مجد الله أكثر من الزواج .

7- البتولية والزواج هما موهبتان يباركهما الله .

8- يفضل الرسول بولس البتولية على الزواج لأن الزواج يشغل الإنسان كثيراً عن عبادة ربه بسبب ما يفرضه على الزوجين من التزامات وحالات غير مرضية منها :

- رغبة كلا الزوجين في امتلاك الآخر

- لا بد أحياناً من تباين في وجهات النظر بين الزوجين مما قد يؤدي أحياناً إلى الخصام أو تعنيف أحدهما الآخر ... إلخ

- تضطر المرأة المتزوجة إلى صرف الكثير من وقتها اليومي لأجل المنزل وما يحتاجه المنزل كالاهتمام بكل فرد من أفراد الأسرة على حدة بالإضافة إلى الواجبات الاجتماعية) .

- يضاف إلى ما سبق إلى الكثير من الاهتمامات الأخرى التي تُفرض على كلا الزوجين في الأسرة وبخاصة على المرأة في المجتمع الشرقي وبخاصة أكثر قبل ألفي سنة حينما ولدت العذراء المسيح . وهذه المسألة مجد ذاتها تحتاج إلى بحث خاص لأن مجملتها تحقق الفكرة التي طرحها الرسول بولس في حديثه السابق بأن الإنسان البتول ينصرف إلى العبادة ويكون مقدساً نفساً وجسداً وذلك إن اختار البتولية لأجل مجد الله ، وأما المتزوج فينصرف إلى أموره الزوجية أكثر بكثير من انصرافه إلى الحياة الروحية .

والآن إذا ما تأملنا في الملاحظات الثمانية السابقة وأسقطناها على

شخص أمنا العذراء لوجدنا ثلاثة أمور رئيسية تفرض نفسها وهي :

أ- إن جميع الملاحظات السابقة لا تليق بشخصها المقدس وخاصة فكرة (سلطان الرجل على جسد زوجته) .

ب- لا يليق بها أن تجرّب من إبليس فيما يختص بشهوات الجسد .

ت- لا يليق بها أن تكون قد انغمست في كل تلك الاهتمامات والواجبات التي تشغل المتزوجين كثيراً عن عبادة الله وهي التي اختيرت لتكون أمماً له بالجسد .

بالنتيجة إذاً : إن كانت أمتنا العذراء قد تزوجت ألا تكون قد اختارت معادلةً خاطئة ؟
بالتأكيد نعم . تماماً كأميرة فائقة الجمال وذائعة الصيت وسليبة الحسب والنسب يتقدم لخطبتها
أمير أجمل منها ، صيته أعظم من صيتها ، فيزيد بذلك جمالها جمالاً وصيتها صيتاً ويجعل نسبها على
نسبه لكنها تتحول عنه فجأة وتختار عبداً من عبيده وتتزوجه .
هكذا العذراء كانت أميرة بطهارتها وعفافها وبرارتها وقداستها وصلاتها وصومها وكل
عبادتها وإن أمارتها ازدادت رونقاً وبهاءً وجمالاً وجلالاً باختيار أمير الأمراء لها لتكون أماً
له فصار لها من الصيت ما لم ولن يكون لكائن غيرها ، وصار نسبها على نسبه فصارت تدعى أم
الله . هل كانت لتتخلى عن كل ذلك لتصبح زوجة لأحد عبيده ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

السبب الثاني

((مبارك أنت يا رب لأنك لم تجعلني وثنياً ولا امرأة ولا جاهلاً))

ما قصة هذا الدعاء ؟

لم يكن اليهود يمنحون المرأة مكانتها السامية ، وهذا ما تظهره الصلاة اليومية التي يصلحها اليهودي حتى اليوم بكل بساطة قائلاً : مبارك أنت يا رب لأنك لم تجعلني لا وثنياً ولا امرأة ولا جاهلاً . بينما المرأة اليهودية تكنفي بالقول : مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك (معجم اللاهوت الكتابي ص100) فقد كانت مهمتها الأساسية هي إنجاب الأولاد ، ومن كانت لا تنجب الأولاد فكانت تعتبر عاراً .

من هو الوثني ؟

إن الوثنية هي ديانة تدعو إلى عبادة المخلوق أياً كان (الحجر , النار , الماء , الشمس , القمر , البقرة ، إلخ) ولا تدعو إلى عبادة الله الحي الغير محدود والغير مقاس خالق السماء والأرض . وبالتالي فإن الوثني هو الذي يعبد هذه المخلوقات ولا يعبد الله ، أي أن عبادته هي عبادة فاسدة ، فلا معرفة له بالله ، ومن ذلك فالعبادة الوثنية لا تثمر إلا الموت وذلك بحسب ما قاله صاحب الأمثال : توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت (أم14: 12) . ويوضح الرسول بولس أكثر بأن العبادة الوثنية ليست إلا عبادة الشياطين بقوله : ما يذبح للأوثان إنما يذبح للشياطين (1كو10: 19-21) وإذا ما علمنا أن العبادة الوثنية إضافة لما سبق كانت تشتمل على طقوس قدرة كالزنى مثلاً إلخ نعلم أن الوثني اسم مرادف لصفة القدر والقدارة والنجس والنجاسة . ومن ذلك لو أن العذراء تزوجت فإنها كانت ستتزوج على سنة الأفكار اليهودية وكانت سترضى لنفسها أن تتزل في نظر زوجها إلى مستوى الكائن الوثني الذي هو من أتباع الشيطان بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

من هو الجاهل ؟

الجاهل هو الغبي الذي لا يفهم ولا يعرف ولا يدرك ، هو المجنون وعديم الحرص ، وهذا ما نجده في سفر الأمثال الذي يقول : الحكمة تنادي في الخارج تبدي كلامها قائلة : إلى متى أيها الجاهل تحبون الجهل ، والمستهزون يسرون بالاستهزاء والحمقى ييغضون العلم (أم1: 20 - ..) .

ونضرب مثلاً من تعاليم المسيح وهو عن ذلك الغبي الذي حينما أخصبت كورته ودرّت عليه خيرات كثيرة فإنه لم يدرك القيمة الحقيقية التي كان عليه أن يصل إليها من جراء تلك الخيرات الكثيرة ، فهو لم يحاول أن يستخدمها لأجل المحبة والخير وتمجيد اسم الله ولذا فإن الله وصفه بالغبي بالقول : أيها الغبي الليلة تؤخذ نفسك منك فهذا الذي أعدته لمن يكون ؟ (لو 12: 20) .

والآن هل كانت العذراء سترضى أن تعود إلى ذلك المستوى المهين من وجهة نظر الرجل اليهودي ؟ وإذا كانت سترضى فهل إن المسيح له المجد كان سيرضى ذلك لأمه لتعود وتؤدي دوراً محدوداً جداً ألا وهو إنجاب عدد من البنين ، وحينما يصلي زوجها يرفع رأسه إلى السماء مسترقاً النظر إليها وهو يقول : مبارك أنت يا رب لأنك لم تجعلني وثياً ولا امرأة ولا جاهلاً بينما هي فكانت ستسلم بقدرها اليهودي الذي جعلها في منزلة الوثنية والجاهلة وتصلي قائلة : أشكرك يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك ؟ إنه له المجد ما كان ليرضى أن يولد من إنسانة لا تحمل في نفسها سمواً فائقاً عن كل ما هو ديني ووضع ورخيص وضيق .

كما يجب ألا تفوتنا هذه الملاحظة وهي :

إن العذراء لو تزوجت لكان ذلك بعد ولادتها للمسيح مباشرة بحسب ما يدعي أصحاب بدعة زواج العذراء ، أي أنها كانت ستتزوج على الطريقة والطقوس والمفاهيم اليهودية . وأن زوجها حتى إن كان يوسف كان سيعتبر أن دورها القدسي قد انتهى بولادة المسيح وأنها عادت لتكون كسائر النساء وكان سيمارس عليها رجولة على الطريقة اليهودية وبخاصة إنه كان يهودياً متمسكاً محافظاً على الطقوس كما وجدنا .

السبب الثالث

نستعرض بعضاً من أحاديث العهد القديم بخصوص المرأة .

- 1- في (تك3: 16) : إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك .
 - 2- ورد في سفر التثنية : إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة (تث21: 15) .
 - 3- في سفر الخروج : لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك (خر20: 17) .
 - 4- في سفر الأمثال : واخرج بامرأة شبابك (أم5: 18) .
- إن المرأة إذاً في العهد القديم كانت شيئاً خاصاً بالرجل ومع ذلك :
- كانت الفتاة العذراء مقدّرة ومقدّسة إلى درجة أن رئيس الكهنة أو أي كاهن آخر لم يكن يجوز له أن يتزوج إلا من فتاة عذراء .
- كما إننا نجد أن حتّة ترفض الزواج ثانية كي يتثنى لها الاتحاد بالرب برباط أوثق فاستحقت أن تشترك مع سمعان الشيخ في استقبال المسيح حينما تقدمت به أمه إلى الهيكل في يوم الأربعين ، فبعد أن انتهى سمعان من مهمته قامت وصارت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم (لو2: 25-38) .
- ونجد أيضاً يوحنا المعمدان حينما صار يهيب لظهور المسيح فإنه التزم حياة النسك ودون أدنى خشية أطلق على نفسه لقب صديق العريس أي صديق يسوع (يو3: 29) .
- نستنتج مما سبق أنه مع كل ما كان يلحق بمن لا يتزوج في العهد القديم من عار فإنه كان للبتولية شأنٌ عظيمٌ وأهمية كبيرة ، وأهميتها كانت نابعة من إشارتها إلى مسائل هامة جداً وأساسية في العهد الجديد التي منها البتولية لأجل ملكوت الله . فقد تحوّل لقب عذراء اسرائيل التي كان لعذراويتها أهمية كبيرة ، تحوّل إلى الكنيسة ، فقد صارت إحدى ألقاب الكنيسة أمها عروس بتول وإن المؤمنين

الذين يريدون أن يحافظوا على بتوليتهم فإنهم يتحدون مع بتولية الكنيسة . ومن جهة أخرى كانت عذراوية أو بتولية الفتاة مهمة جداً لكي تنتهي بالزواج من الرجل زوجاً طاهراً ومباركاً إشارة إلى بتولية الكنيسة التي هي عروس ستكلم بتوليتها بدخولها العرس الأبدي ابتداء من يوم القيامة مع عريسها المسيح .

هذا وإننا حينما نلفظ مصطلح (بتولية الكنيسة) فإننا نقصد بأنها بتول في معتقداتها وقوانينها وإيمانها وعبادتها بحسب تعاليم ربنا يسوع المسيح (هذه البتولية لم تستطع كنيسة العهد القديم أن تحافظ عليها وهذه ملاحظة هامة) إذ أن المعتقد الصحيح لا يقبل عكسه ولا ما يشوبه ، وكذلك أيضاً القانون الصحيح والإيمان والعبادة الصحيحين .

هذه جميعها تؤدي إلى اشتراك المؤمنين إيماناً وعبادة في بتولية الكنيسة في انتظار يوم العرس الأبدي ، وهذا ما يذكرنا بقول ربنا يسوع المسيح عن إيمان وعبادة الكنيسة من خلال شخص بطرس : بأنها الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها .

إن الرسول بولس قال في الكنيسة أقوالاً كثيرة ، فقد قال في رسالته لأهل أفسس : أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها (أف 5: 25) ووصف هذا الحب بأنه حبّ عريس لعذارته وذلك من خلال رغبته في أن تكون كنيسة كوركنتوس عذراء طاهرة للمسيح بقوله : فإنني أغار عليكم غيرة الله لأنني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح (2كو 11: 2) .

بالمختصر : إن مسألة البتولية ترتبط بمسألة العرس . إن اتحاد الكنيسة والمسيح هو اتحاد بتولي ، فكما أن الفتاة التي بمحافظتها على بتوليتها وعذراويتها تمتنع عن كل ما من شأنه أن يشوب أو يفسد بتوليتها لكي حينما تزفّ إلى عريسها تكون طاهرة نقية فيكون اتحادها مع عريسها اتحاداً طاهراً ووثيقاً ، هكذا علاقة الكنيسة مع المسيح ، فكلما حافظت الكنيسة على بتولية إيمانها ومعتقداتها كلما كان انتظارها ليوم عرسها الأبدي انتظاراً طاهراً مباركاً مقدساً ، وبالتالي فستدخل عرسها الأبدي بكل الطهارة والقداسة والبركة .

والآن إلى السؤال الذي يطرح نفسه ليقول : **ما علاقة بتولية مريم العذراء بكل**

هذا الحديث ؟

الجواب : كما ذكرنا إن اتحاد المسيح والكنيسة هو اتحاد بتولي وهو مرتبط بمسألة العرس الأبدي ، وإن بتولية الكنيسة ابتدأت عند نقطة الاتصال بين العهدين (القديم والجديد) ونقطة الاتصال

كانت أمنا العذراء التي اختارها الله تبارك اسمه خصيصاً لتكون أمّاً له لأنه رأى فيها صورة بتولية الكنيسة التي أرادها بتولية دائمة ، تلك البتولية الدائمة وبخاصة من ناحية النفس والجسد عبّرت عنها أمنا العذراء بقولها للملاك الذي بشرها بالحبل الإلهي : كيف يمكن هذا وأنا لا أعرف رجلاً (لو 1: 34) .

إنها (أي العذراء) لم تفكر وتقول في نفسها إنني مخطوبة ليوسف وإن هذا الحبل الذي يقول عنه الملاك سيتمّ من يوسف حينما أُرّف إليه للزواج ، كلا . لم تفكر هكذا بل على الفور قالت له : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً . فكأنني بها تقول : إن فكرة الزواج مرفوضة لدي إذ ليست لي الرغبة أو النية بالزواج بل رغبتني هي اخفاضة علي بتوليتي لأجل مجد الله ، وإن الله يعرف رغبتني هذه التي لأجل مجده ، فكيف إذا سيحدث هذا الحبل ؟ فيتدخل الملاك ليؤكد لها أن رغبتها هذه مقدّرة ومحترمة وسيكون لها ذلك ، فستظل بتولاً لأنّها قد اختيرت لتكون أمّاً لكنيسة المسيح البتول إلى الأبد إذ قال لها : الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو 1: 35) .

أي أن المولود منك ليس كإبراهيم وموسى وإيليا وارميا ويوحنا إلخ الذين حبلت بهم أمهاتهم من جراء زرع بشري عن طريق الزواج ، كلا . إنه كلمة الله الأزلي الذي رأى فيك صورة كنيسة دائمة البتولية إيماناً ومعتقداً وجسداً .

إيماناً . لأنك مؤمنة به وإيمانك لن تشوبه شائبة .

عبادة . فأنت قد كرّست ذاتك لعبادته وعبادة مجده .

جسداً . فلأنك لن تتزوجي وتنقسمي في اهتماماتك وأفكارك ورغباتك بين اثنين الله والزوج . فإذا . حتى تلك اللحظة نجد أن العذراء كانت مصممة تماماً على تكريس نفسها وكل ذاتها لله ، وحينما جاءها الملاك وأرّف إليها البشارة فإنها أدركت في تلك اللحظة بأن رغبتها في دوام البتولية قد تحققت تماماً إلى الأبد في آن واحد مع تجسد ابن الله ، فكانت علامة ذلك التجسد هي البتولية الدائمة . لأن مجرد تجسد ابن الله وولادته منها كان يلزمه تفرّغ كامل له ، لأن تفرّغها له هو عبادة وانسجام كاملين مع مجده الإلهي وهذه هي أهم سمات البتولية .

وهكذا بالبتولية ابتداءً عالمٌ جديد في مجرى تاريخ البشرية ، أحد عناوينه هو : العذراء البتول
تلد في بتوليتها ابن الله البتول ليقتنى لنفسه كنيسة بتول .

هذا وإنه بقليل من التأمل نجد أن المسيح له المجد ومعه أمه العذراء البتول ويوحنا المعمدان البتول
قد كشف كشافاً كاملاً عن معنى وأهمية البتولية وعذوبة طابعها الفائق الطبيعة . فإن المسيح البتول
انتصر على إبليس . العذراء حملت وولدت المسيح ببتوليتها . ويوحنا المعمدان ببتوليته هياً الطريق
أمام المسيح وبتوليته استشهد .

السبب الرابع

البتولية أسمى من الوصية

إن البتولية ليست وصية ولا أمراً ، فإن الوصية والأمر وضعاً من أجل تقويم سلوك وفكر الخطاة
ليستطيعوا الوصول إلى ملكوت الله ، أما البتولية فهي أسمى من الوصية وأسمى من الأمر بكثير ، إنها
دعوة من الله ونعمة من روحه القدوس إن استجاب المؤمن لهذه الدعوة . وهذا ما أكدته ربنا يسوع
المسيح في معرض حديثه عن الزواج والطلاق حينما قال : يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون
أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل (مت 19: 12) . ما معنى ذلك ؟

- إن الذين ولدوا من بطون أمهاتهم خصياناً فإن ذلك كان بسبب خلل فزيولوجي مرضي
وما إلى ذلك ، وإن بتولية هؤلاء ليست إلا عجزاً عن الزواج فلا تتقدم أمام الله كبتولية
بكل معنى الكلمة .

- أما الذين خصاهم الناس فهؤلاء يقصد بهم الذين حُرِّموا من الزواج لا لأنهم غير قادرين
بل ليتفرغوا لخدمة أسيادهم فقط ومنهم العبيد الذين كان أسيادهم يخصصهم من أجل أن
يخدموا نساء أسيادهم دون أن تتحرك فيهم الغريزة الجنسية ولكي يتفرغوا للخدمة ، وقد

كان للملوك والأمراء ورؤساء العشائر قديماً ما يسمى بالخصيان يقدمون لهم ولنسائهم ولكل آل البيت الخدمة . وهذه صورة بشعة عن الحياة البتولية لأنها تُفرضُ على أصحابها فرضاً وليس برضاهم واختيارهم ، إنما ليست إرضاء لله من أجل ملكوته السماوي بل إرضاءً لسادتهم .

- أما الذين خصوا أنفسهم لأجل ملكوت الله فهي فئة روحية تضم العاملين في الحقل الروحي الذي يتطلب البتولية وذلك لأن وظيفة هؤلاء لا تتطلب أن يكون صاحبها منقسماً بين الله وبين غير الله . إن أفراد هذه الفئة تقدموا إلى صليب المسيح حاملين إياه في بتوليتهم لا عن عجز في الزواج ولا لإرضاء أسياد من البشر وإنما رغبة ومحبة في التكريس الكامل روحاً وجسداً للعريس الأبدى . هؤلاء سبق فقال عنهم الوحي الإلهي : أختي العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم (نش4: 12) . أي إنهم اختاروا البتولية من أجل العريس السماوي وليس عن عجز . وكيف سيكون اختيارهم عن عجز وهم جنة وليسوا صحراء مقفرة كالذين ولدوا خصياناً . وهم عينٌ أي أنهم يبصرون . أي أنهم قادرون على الزواج لكنهم اختاروا البتولية مكرسين أنفسهم للعريس السماوي وليس كالذين تكررّسوا من أجل إرضاء سادتهم الذين خصوهم . إنهم نبعٌ مختوم ، أي أنهم يملكون كامل الطاقة على الزواج ، لكن نبع الطاقة هذا قد ختموه لأجل ملكوت السموات . بالمختصر إنها فئة بتولٌ لا تعاني حرماناً لكنها سلمت نفسها بالبتولية لمن قدّم حياته لها بكل إرادتها وبكل استجابتها لدعوة الله وليس رضوخاً قسرياً مما يؤكد أن البتولية هي أسمى من الوصية ولعل هذا هو السبب الذي من أجله اختتم ربنا حديثه بالقول : من استطاع أن يقبل فليقبل .

سؤال : لماذا وصف ربنا البتولية بأنها من أجل ملكوت السموات ؟

- 1- لأن البتولية هي تكريس دائم للرب ، أما التزوّج فيعني انقسام في الاهتمام بين الرب والحياة الزوجية .
- 2- إن قوله له المجد : خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات تضع البتولية في بعدها الحقيقي بالنسبة للأزمة الأخيرة التي هي أزمة الشدة التي عبّر عنها الرسول بولس حينما فضّل البتولية على الزواج بالقول : فأظن أن هذا حسنٌ لسبب الضيق الحاضر

(1كو7: 26) . وهذا ما نجد له إشارة في قول المسيح الذي قاله في معرض حديثه عن الأيام الأخيرة الصعبة : ويلٌ للحبالى والمرضعات في تلك الأيام (لو21: 23) .

3- إن الزواج هو صورة العالم الحاضر ، فكما أن العالم الحاضر سيزول هكذا رابط الزواج بين الزوجين سيزول وهذا ما عبّر عنه ربنا يسوع المسيح بقوله : أما في القيامة فلا يزوجون ولا يتزوجون (مت22: 20) أما البتولية فهو صورة العالم الأبدي وهذا ما نستوحيه من القول السابق لربنا له المجد الذي أضاف عليه قائلًا : بل سيكونون كملائكة السماء ، وإن ملائكة السماء هي أرواح لا تتزوج أي هي كائنات بتولية إلى الأبد . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كما أن البتولية هي تكريس النفس والجسد لأجل مجد الله ، هكذا العالم الأبدي هو تمجيد وتسبيح دائم لاسم الله .

4- إن فكرة الزواج هي تعبير صارخ عن انتظار يوم العرس الذي فيه تزف الفتاة لعريسها فتدخل معه في حياة زوجية إلى نهاية العمر ، أما البتولية فهي تعبير صارخ عن انتظار يوم عرس الحياة الأبدية ليدخل البتول في زفة روحية أبدية إلى ملكوت السموات .

5- إن الزواج هو صورة الانتماء إلى هذا العالم المادي الزمني والاشتراف فيه ، أما البتولية فهي صورة الانتماء إلى العالم الأبدي والاشتراف فيه حتى قبل حلوله على حد قول الرسول بولس : غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته (1كو7:) .

بالمختصر . إن الزواج يعرف أفضل تعريف الانتماء إلى هذا العالم الفاني والانشغال فيه . أما البتولية فهي أفضل تعبير عن وجه الكنيسة الحقيقي والانتماء إلى العالم الأبدي الغير فاني ، إذ وهي في هذا العالم لكنها ليست من العالم لأن جلّ اهتماماتها وانشغالاتها هي من أجل ذلك العالم الأبدي . وهنا أعود لأرجو المؤمن العزيز أن لا يفهم من الحديث بأنه لن يدخل ملكوت الله غير البتولين ، كلا ليس هذا هو المقصود ، لأن المتزوجين إن استحقوا بإيمانهم وأعمالهم وعبادتهم فبالتأكيد سيدخلون ملكوت الله ، فإن منازل الملكوت كثيرة كما قال له المجد : في بيت أبي منازل

كثيرة (يو 14: 2) ولكن يجب التسليم بأن منزلة البتولين الذين كرّسوا بتوليتهم لأجل ملكوت الله ليست كمنزلة الغير بتولين .

ما علاقة ما قلناه بأمننا العذراء ؟

1) بما أن البتولية هي تكريس النفس والجسد للرب تكريساً دائماً وإن العذراء هي أمّ الرب فلنرم أن تظل عذراء لتكون مكرّسة له أبداً .

2) بما أن البتولية هي صورة العالم الأبدي الذي لا يزول كونها تكريس دائم للنفس والجسد لأجل مجد الله فقد وجب أن تظل العذراء عذراء لتظل مكرّسة نفسها لأجل مجد الله لأمنها أمّ صاحب الملكوت الأبدي .

3) بما أن البتولية هي تعبير عن انتظار يوم عرس المسيح الأبدي للدخول إلى ملكوت الله في زفة أبدية وجب أن تظل العذراء أمّ المسيح عذراء فإن في استمراريتها تأكيد لهذا الانتظار كونها أمّ المسيح عريس ذلك العرس .

4) بما أن البتولية هي صورة الاشتراك والحياة في ملكوت الله قبل حلوله وجب أن تظلّ العذراء عذراء ذلك أمّا أول المعنيين بصورة هذا الاشتراك كونها أمّ صاحب الملكوت .

أخيراً : إن بتولية كنيسة المسيح ابتدأت وتكرّست منطلقاً من بتولية أمنا العذراء آخذة منها صورة بتوليتها في شخص ابنها يسوع المسيح البتول . فهل يعقل إذاً أن العذراء تزوجت من إنسان بعد أن ولدت المسيح فتتسّف بذلك كل هذه المبادئ وبالتالي تنسف حالة انتظار الكنيسة البتول لذلك العرس الأبدي ؟
للتأكيد لا .

السبب الخامس

«الخصوبة»

الخصوبة في شيء تعني النمو والازدياد . الخصوبة البشرية تعني النمو والتكاثر والازدياد البشري عن طريق التزاوج ما بين الرجل والمرأة .

نسلط ضوء الكتاب المقدس على هذه المسألة لنجد فيها مفهومين رئيسيين الأول منهما يشير إلى الثاني وهو ناتج عنه . الأول هو التكاثر البشري والثاني هو الزواج . نتكلم عن اثنيهما معاً . حينما خلق الله الإنسان (آدم وحواء) وباركهما فإنه تعالى قال لهما : ائتموا واكثروا واملأوا الأرض وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . قد أعطيتكم كل بقول يزر بزرأ على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يزر بزرأ لكم يكون طعاماً (تك1) .

نحلل هذا النص باختصار .

- بارك الله آدم وحواء . أي بارك لهما زواجهما .
- ائتموا واكثروا . إحدى أهم الغايات لزواجهما هي إنجاب البنين .
- املأوا الأرض . أي أن بنيكم وبناتكم عبر الأجيال عليهم أن يتزوجوا أيضاً لأجل إنجاب البنين ، وذلك لأنه ليس ممكناً أن آدم وحواء كانا قادرين بمفردهما على إنجاب هذا العدد الهائل من البشر يملآن به الأرض ثم يتوقفان .
- تسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على سطح الأرض . (البحر ، الهواء ، الأرض) هذه المستويات الثلاثة وضعها الله تحت تصرف الإنسان .

في هذا التحليل نتوقف عند هاتين المسألتين :

- 1- الزواج . وهو علاقة وثيقة الارتباط ما بين الرجل والمرأة لإنشاء هيئة مقدسة هي الأسرة .
- 2- مجموع الأسر هي المجتمع ولذا لا بد من الخصوبة البشرية لبناء المجتمع واستمرار حياته .
- 3- هذا المجتمع البشري يسلطه الله على الكون وكل ما فيه .

إن كل ما سبق كان لغاية رئيسية ألا وهي أن ينمو البشر ويتكاثروا لملء الأرض التي أوجدها الله من أجلهم . ولكن يجب عدم إهمال أن الله خلق الإنسان في حالة بتولية ذهنية ، أي أن الله حينما قال ما ذكرناه فإنه تعالى كان يحدّث ذهنية الإنسان البتول . لكن الإنسان ما استطاع أن يثبت في

تلك البتولية الذهنية فسرعان ما أفسدها بسماحه لإبليس أن يدخل إليها ويعيث فيها فساداً ويوقع صاحبها في الخطيئة .

إذاً . لم يستطع الإنسان أن يثبت في تلك البتولية الذهنية فسقط ، لكنَّ الله رحيم ومحبَّ البشر فإنه رسم أن يعيد الإنسان إلى الفردوس من خلال بتولية أخرى هي كمال البتولية لأنَّها تتضمن بتولية الذهن والجسد .

قال الله تبارك اسمه للحية وهو يلعبها معطياً وعداً بإعادة الإنسان إلى الفردوس : أضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (تك3: 15) .
وقال للمرأة : تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك (تك3: 16) .

وقال للرجل : لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً ألا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك (تك3 : 17) .
في حديث الله هذا نجد :

1- يشير في لعنه للحية إلى المسيح البتول ابن البتول ، فإن عبارة نسل المرأة لا تنطبق إلا على المسيح ، فالإنسان وفي كل الشرائع والقوانين هو ابن أبيه وينسب إلى أبيه ، أي أنه ينسب إلى الرجل باستثناء المسيح الذي لم يكن له أب من البشر ولذا فإن الحديث الإلهي نسبه إلى أمه .

2- بما أن الإنسان ما استطاع أن يثبت في البتولية الذهنية فإنه خسر مجمل النعم التي كانت مترتبة عليها التي منها أن الزواج كان لأجل غاية نبيلة وهي الخصوبة في إنجاب البنين ومن ثم إنشاء هيئة مقدسة وهي الأسرة . لذا فإننا نجد أن الله قد حوّل تلك النعمة إلى تعبٍ شديد بقوله : بالوجع تلدين أولاداً ، وبالتالي فإنه تعالى قد وضع الزواج في مرتبة أدنى من مرتبة البتولية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإذا أن المرأة تحديداً كانت الأولى في السقوط وأن سقطتها أدت إلى سقوط الرجل لذا فإنه جعلها تابعة للرجل يسود عليها إلى أن تظهر المرأة الثانية ، المرأة البتول بذهنها وجسدها لتعيد لها مقامها .

3- كان الرجل يعكس مجد الله والمرأة كانت تعكس مجد الرجل . لكن الرجل ما استطاع أن يثبت في هذه المرتبة السامية فانساق وراء صورة مجده المرأة دون أي

تقدير لكونه يعكس مجد الله فحسر نعمة البتولية الذهنية وخسر الفردوس بانتظار أن يظهر الرجل الآخر صاحب بتولية الذهن والجسد لعيد له مقامه الأول .

خلاصة القول : إن الله جلّ جلاله ولأنه إله حنون رحيم محبّ ، فإنه لم يشأ أن يظل الإنسان مأسوراً بقيود الشيطان والخطية والموت لذا فإنه رسم له أن يعود إلى هيئة المجد التي كان فيها ، لكن هذه العودة كانت مشروطة أن تتم بتولية جديدة دائمة تتضمن بتولية الذهن والجسد معاً وهذا ما تمّ ، فإن كلمة الله المتزه عن الخطية (وهذه صورة البتولية الذهنية) تجسد ولم يتخذ له امرأة (وهذه صورة البتولية الجسدية) وجمع بتأنسه بتولية الذهن والجسد . وإن بتولية المسيح الدائمة الكاملة بشقيها الذهني والجسدي كان يلزمها أن يتجسد من عذراء بتول دائمة كاملة في بتوليتها الذهنية والجسدية . وهذا ما حصل فكان اجتماع بتولية المسيح الكاملة وبتولية العذراء الكاملة أروع صورة للبتولية شهدتها التاريخ وكانت نقطة انطلاق للكنيسة البتول . وإذا المسيح جاء داعياً الإنسان إلى ملكوت الله لذا فإن هذه البتولية الثلاثية الأقطاب (بتولية المسيح ، بتولية العذراء ، الكنيسة البتول) شكلت وحدة متكاملة لصورة ملكوت الله ، وذلك لأن حياة المستحقين في ملكوت الله الأبدى عبّر عنها ربنا له المجد بالقول : لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملاتكة الله في السماء (مت 22: 30) بمعنى أنه إن سقط أحد أقطاب هذه البتولية الدائمة فإن كامل صورة الملكوت سوف تسقط ولا يعود الملكوت ملكوتاً ، وإذا لم يعد الملكوت ملكوتاً فإن المسيح لم يأت بعد ، وإذا كان المسيح لم يأت بعد فإن إيماننا باطل ورجاؤنا أيضاً باطل . ولكن الحقيقة هي أن المسيح قد جاء وإيماننا حقيقي راسخ بدليل أنه لا تزال تجري المعجزات الإلهية في كنائسنا حتى اليوم .

أخيراً نقول :

1- كما أن الله تبارك اسمه بارك قران آدم وحواء اللذان كانا بتولين في ذهنهما لأجل غاية نبيلة وهي إنجاب البنين وإنشاء هيئة مقدسة هي الأسرة ، هكذا بارك وقّدهس أمنا العذراء البتول بروحه القدوس لأجل غاية هي أنبل الغايات ألا وهي أن يتجسد منها ابنه القدوس لأجل إنشاء كنيسة بتولاً مقدسة تكون صورة لملكوت الله على الأرض .

2- مثلما سلط الله الإنسان حينما خلقه على الكون فأعطاه الحق أن يحيا فيه متصرفاً به ، هكذا من خلال ابنه المتجسد من العذراء الكاملة البتولية أعطى الحق لكل من يُخْتَمَ باسمه أن يحيا في ملكوته إلى الأبد .

كل ذلك بسبب تماسك البتولية الثلاثية الأقطاب (المسيح ، العذراء ، الكنيسة) . فهل يعقل إذاً أن العذراء إحدى أقطاب هذه البتولية المتماسكة تزوجت من إنسان لتصير سبباً في انهيار ملكوت الله ؟
حاشا وكلا .

السبب السادس

((الخطيئة الأصلية))

إن الله أول ما خلق الإنسان إنما خلقه في طبيعة بارّة طاهرة مقدّسة نقيّاً نقاءً تاماً ، لا سلطان على طبيعته غير سلطان الله ، وكان المطلوب ألاّ تنقاد تلك الطبيعة لإبليس لكي لا يصير له سلطان عليها . لكن الإنسان انقاد لإبليس وصدّق مشورته اللعينة التي كانت تقول : إنّ الله كاذب (حاشا) ولن تموتاً بل ستصيران مثله آلهة عارفين الخير والشر . وبانخداع الإنسان واستجابته لهذه المشورة انتفخ وأراد أن يكون مثل الله ، وهكذا وضع نفسه تحت سلطان إبليس وتحولت بذلك طبيعته البارّة والطاهرة والمقدّسة والحرّة إلى طبيعة فاسدة غير حرّة ، يتحكم فيها إبليس كما يشاء . هذه الطبيعة الفاسدة وسلطان إبليس المتحكم بما صاروا صورة للخطيئة الأصلية التي صارت تنتقل مع الإنسان من جيل إلى جيل وإلى منتهى الدهور . وهذا ما جعل ربنا يسوع المسيح أن يصلب من أجل أن يحرر الإنسان منها أي يحرر الإنسان من تلك الطبيعة الفاسدة ويرفع عنه سلطان إبليس القاسي المتحكم به دائماً .

ولكن التحرر بالمسيح من الطبيعة الفاسدة ومن سلطان إبليس هو على الصعيد الفردي الغير متعدي ، أي أن من يتحرر بالمسيح من الخطيئة الأصلية هو فقط يتحرر منها أما ابنه الذي ينحدر من صلبه فلا . لأنه هو الآخر يولد بتلك الطبيعة الفاسدة فيلزمه أن يُقبَل إلى المسيح ويتحرر به أيضاً وهكذا

ما علاقة هذا الحديث بأمننا العذراء ؟

إن العذراء بحلول الروح القدس عليها بينما يبشرها الملاك تطهّرت من الخطيئة الأصلية التي كانت قد وُلِدَتْ فيها فحلّ كلمة الله في رحمها واتخذ له منها جسداً وولد منها إلهاً متجسداً . فهل يُعقل أنّها بعد أن ولدت المسيح المتزه كلياً عن الخطيئة أيّاً كانت أصلية أم غير أصلية ، تعود لتتزوج وتحمل في ذات الرحم أولاداً يحملون الطبيعة الفاسدة خاضعين لسلطان إبليس ؟ في الحقيقة إن هذه العودة لا يقبلها مبدأ سليم ولا شرع صحيح ولا معتقد قويّم أو عقل فهمم .

كما أنها لو كانت قد تزوجت لكانت قد أعلنت أن حبها بالمسيح كان اتفاقاً نفعياً المستفيد منه هو المسيح بالذات لكي يولد منها بالجسد ، وبولادتها له انتهى ذلك الاتفاق النفعي ، وكأنها كانت مربوطة مقيدة بذلك الاتفاق وبمجرد انتهاء مدته فإنها تحررت وانصرفت لشؤونها الخاصة وتزوجت .

من يقبل بهذا الحديث ؟

بالتأكيد إن مسيحياً مؤمناً يغار على كرامة دينه لا يقبل بذلك . لماذا ؟
لأنه لو كان الأمر كذلك فكأن العذراء كان لها إدراك بأن حكاية المسيح ليست بالأهمية في شيء وأن مثله مثل باقي الأنبياء الذين جاء كل واحد منهم وأدى رسالة محدودة ومضى .
لكن العذراء كانت تعرف وتدرك جيداً عظمَ رسالة المسيح وتعلم أنه ليس كباقي الأنبياء بل هو الله ظهر منها متجسداً ، وإن رسالته ليست ضيقة بل هي رسالة خلاص أبدي ، وإنما إذ أصبحت أمه فهي أصبحت أمماً لكنيسة التي اقتناها بدمه على الصليب ، فما كان ليتبادر إلى ذهنها على الإطلاق أن تعود لتتمتع بأمورها الشخصية أعني أنوثتها وهي قد صارت في هذه المرتبة السامية التي لم ولن يصلها أحد غيرها ، بل ستظل متمتعة بأمومتها للمسيح ولكنيسة المسيح الذي له المجد إلى أبد الأبدين آمين .

السبب السابع

((الجنس والعبادة))

- 1 - كلم الرب موسى قائلاً : كلم إسرائيل قائلاً : إذا حبلت المرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كل شيء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تهيء حتى تكمل أيام تطهيرها . إن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمئنها (لا 12: 1-5)
 - 2 - والمرأة التي يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء (لا 15: 18) .
 - 3 - حينما كلم الرب موسى بأنه سيزل أمام عيون كل الشعب فأمره أن يتزل ويقدس الشعب ليكون مستعداً لظهور الله في اليوم الثالث فإنه تعالى من جملة ما قاله لموسى : كونوا مستعدين لليوم الثالث . لا تقربوا امرأة (خر 19: 15) .
 - 4 - حينما هرب داود من أمام شاول فإنه ذهب أولاً إلى أحيمالك الكاهن وطلب منه خمس خبزات له ولغلماناه فأجابته الكاهن قائلاً : لا يوجد خبزٌ محلل تحت يدي ولكن يوجد خبزٌ مقدس إذا كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم وخاصة من النساء . فأجابته داود قائلاً : إن النساء قد مُنعتن عتاً منذ أمس وما قبله فأعطاه الكاهن الخبز المقدس (1صم 21: 6-1) .
- نلقي الضوء على الأحاديث الأربعة ونستنتج منها أربعة نتائج :
- النتيجة الأولى :** كانت شريعة العهد القديم تعتبر كل امرأة متزوجة نجسة حتى اليوم السابع على ولادتها إن كان مولودها ذكراً ، ولمدة أسبوعين إن كان مولودها أنثى . وما هو نجس كانت عبادته لا تقبل إلا حينما يتطهر من نجاسته .

النتيجة الثانية : في الحديث الثاني نجد أن الناموس كان يعتبر المرأة والرجل نجسين حتى المساء بعد كل عملية جماع . ومن يستطيع أن يمنع رجل وامرأة من هذه العملية وخاصة أن من حقهما أن يمارسا الجنس مع بعضهما لأتهما زوجان شرعيان . ومع ذلك كان الناموس كما أسلفنا يعتبرهما نجسين حتى المساء إثر كل ممارسة جنسية ، وما هو نجس كانت عبادته لا تُقبل حتى يتطهر من نجاسته .

النتيجة الثالثة : نجد في الحديث الثالث أن الناس رجالاً ونساء مُنعوا من اللقاء الجنسي إلى أن تنتهي الأيام الثلاثة ويظهر الله في نهايتها ، وذلك لأنه لا يليق بكرامة الله أن يلتقيه إنسان وهو نجس بالمضاجعة الجنسية . بمعنى أنه لو وُجد من لم يلتزم بالأمر وضاجع زوجته لتنجسا وحرما اللقاء مع الله .

النتيجة الرابعة : نستنتج من الحديث الرابع احتجاب القداسة عمّن يطلبها في ذات اليوم الذي تتم فيه المضاجعة الزوجية .

مما سبق نجد بأن العلاقة الجنسية كانت تمنع الإنسان من العبادة والقداسة ومن التقرب إلى الله لأنها كانت تعتبر نجاسة ، فمن غير اللائق بمجد الله أن يتقدم الإنسان للعبادة وهو نجس . ربّ إنسان يتساءل عن السبب فنقول : إن الله أوجد لكل شيء وظيفته التي تُؤدّي في ظرف مناسب ، وإن الجنس لم يوجده الله في الإنسان ليعبد به ربه فهو سلوكٌ غير مناسب للعبادة ، إنما وضعه الله في الإنسان من أجل تكاثر الجنس البشري كما ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين ، وباركهم الله وقال لهم : اثمروا واكثروا واملأوا الأرض (تك1: 28) . وأما العبادة فهي أمتع ما يمكن أن يقوم به الإنسان ، فلذا رسم لها الله أن تتم بطهارة وقداسة نفساً وجسداً .

ما علاقة هذا الحديث بأمننا العذراء ؟

إننا إن أسقطنا هذا الحديث على شخص أمننا العذراء لوجدنا أنها لو تزوجت بعد أن ولدت المسيح فكانت ستتزوج بحسب الناموس وشريعة العهد القديم . لأن ناموس العهد القديم لم يُطلّ العمل به إلا منذ صلب المسيح ، أي بعد ثلاث وثلاثين سنة من ولادته . وبالتالي فإن تلك النتائج الأربعة كانت ستلبس أمننا العذراء لو أنها تزوجت . كيف ذلك ؟

بحسب النتيجة الأولى : كانت ستحرم العبادة في الأيام السبعة على ولادة الذكر وفي الخمسة عشرة يوماً على ولادة الأنثى .

بحسب النتيجة الثانية : كانت ستحرم العبادة أياماً كثيرة جداً في حياتها .

بحسب النتيجة الثالثة : كانت ستحرم من رعايتها وتربيتها للمسيح وكان سيهجرها منذ أيامه الأولى في الجسد ، وذلك لأن الله منع أن يلتقيه من كانت له مضاجعة جنسية مع زوجه قبل ظهوره بثلاثة أيام وحتى يوم ظهوره . وإذ أن المسيح هو الله ظهر بالجسد وكان مع أمه طيلة ثلاثين سنة وهي معه ، فكان أمام العذراء أحد خيارين إما أن تتزوج وتنصرف إلى رغبات زوجها وتتخلى عن المسيح الله ، وإما أن لا تتزوج وتظل محتفظة بابنها المسيح ترعاه وتديره بالجسد وهذا ما حصل .

بحسب النتيجة الرابعة : لو أنها تزوجت لكانت قد حرمت نفسها من نعم وخيرات الله في كل يوم تلنقي به زوجها . وهل يصدق عاقل أنها تتزوج لتخسر نعم الله وهي التي أصبحت أمماً له وأن أمومتها له هي أعظم النعم ؟

إذاً . فليخجل من يقول بأنها قد تزوجت بعد ولادتها للمسيح الذي له كل المجد إلى الأبد آمين .

الباب الثالث

محاكمات منطقية في بتولية العذراء

قبل وأثناء الحبل بالمسيح

عند ولادتها للمسيح

بعد ولادتها المسيح

إن واحدة من أهم ما ينتفع به الإنسان من علم المنطق هو استخلاص الحقيقة من إشاراتها أو رموزها بطريقة التحليل والتركيب والاستدلال . وفي هذا الباب سنعتمد بمشيئة الله هذه الطريقة في تحليل بعض من الرموز وبعض الأقوال ونستدل منها إلى وجوب استمرارية العذراء عذراء بعد ولادتها للمسيح له المجد آمين .

أولاً . عذراء بتول قبل وأثناء الحبل .

إن حبل السيدة العذراء بالمسيح كان حبلاً بتولياً دون مباشرة رجل وهذا ما نجد واضحاً في ردّ الملاك عليها حينما قالت له : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ فأجابها قائلاً : الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً المولود منك يدعى ابن الله (لو 1: 34-35) .
وحيثما حلّ عليها روح الله وظللتها قوة العلي وحلّ كلمة الله في أحشائها فإنها اتحدت مع الله اتحاداً كاملاً بكل كيانهما (نفساً . روحاً . جسداً) وإنما نرى في ذلك الاتحاد :

1 - تناغم تام بين بتولية مريم العذراء والله تمخض عنه أن اتخذ كلمة الله جسداً له من جسدها وولد به . وإنما لنفهم أبعاد ذلك التناغم من خلال التعريف التالي :

إن التناغم كحالة بين اثنين هو الرضا التام للواحد بالآخر في اتحاد نفسي وروحي رافع يؤدي إلى أن مشاعر الأول هي عند الثاني والعكس صحيح ، عواطف الأول هي عند الثاني والعكس صحيح ، الأول متعلق بالثاني والعكس صحيح ، الأول بكل كيانه هو للثاني والعكس صحيح وكلما كانت درجة التناغم عالية كلما كان الاتحاد الروحي والنفسي عالياً ، وحيثما يصبح التناغم تاماً

فإن الاتحاد الروحي والنفسي أيضاً يُصبح تاماً فيحدث أن أحدهما يهب نفسه للآخر تماماً ويفكر كل منهما بالآخر ولا يقبل الواحد منهما أي تغيير في صور الآخر باتجاه الأدنى . وإذ أن التناغم كان تاماً بين العذراء والله لذا فمن الطبيعي أن الله لم يفكر أو يشاء في أن تتغير صفة العذراء من أمّ لكلمته إلى أية صفة أخرى ولا هي أيضاً فكّرت أن تكون لواحد آخر غير الله .

ربّ سائل يقول : لماذا تمّ حبل العذراء بالمسيح حبلاً بتولياً وليس عن طريق الزواج البشري ؟

الجواب :

أ- لأن المسيح هو الله موجود أزلاً وجوداً بتولياً .

ب- كان المسيح (كلمة الله) مزعماً أن يجعل من جسده طعاماً للحياة الأبدية التي هي حياة بتولية أبدية لكل من سيحظى بها لذا كان لابد لهذا الطعام إلا أن يكون منشؤه منشأً بتولياً .

2 - كان كل كيان مريم العذراء قبل حبلها بالمسيح متحداً بالله اتحاداً بتولياً . أدّى ذلك الإتحاد إلى امتلائها كاملاً بالنشوة . هذا الامتلاء الذي لا يمكن لأية متعة جسدية أو نفسية أن تصل إلى مستوى ذرة منه . ولذا فإن هذا الامتلاء من شأنه أن يجعل الإنسان منصرفاً بالكلية عن التفكير في أي مشروع آخر غيره ، وبأية لذة أو نشوة غير لذّته ونشوته ، وعن السعي إلى أي شيء آخر غيره . الأمر الذي يجعلنا نُحتمّ بأن أمتنا العذراء إذ بلغت إلى كامل النشوة والمتعة من اتحادها الكامل بالله قبل وحين الحبل بالمسيح فإنها ظلت متمتعة إلى الأبد بتلك النشوة والمتعة ولم تفكر أو تسعى إلى أي شيء غير المكوث في قلب ذلك الإتحاد البتولي لكل كيانها مع الله ، وهذا ما نستوحيه من قولها لأليصابات التي هبّت في استقبالها كونها أصبحت أم رها : تعظّم نفسي الرب وتبتهج بروحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظام واسمه قدوسٌ (لو: 1: 46 - 48) .

3 - البتولية المصانة من صاحبها هي اغتناء كامل بالله . أي أن الله دون سواه يصبح كل ما يملك البتول في الحياتين الزمنية والأبدية ، الأمر الذي لا يفسح عند البتول مجالاً للتفكير بغير الله ليكون الله هو الكل في الكل . وهكذا كانت أمتنا العذراء قبل أن تحبل بالمسيح ، ولذا فإنه تبارك اسمه اختارها لتكون أمّاً لكلمته لأنه كان عالماً بأنّها ستظل هكذا وبخاصة إن البتولية هي حرية كاملة لا يغصب الإنسان عليها ولا يوجّه إليها توجيهها مقصوداً بل هي اختيار حرٌّ فيه يهب الإنسان نفسه لله

ليملك الله عليه وهو يملك الله وهذا ما نستوحيه من قول الرب يسوع له المجد : وهناك خصياناً خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات (مت 19: 12) .

ثانياً . عذراء بتول عند الولادة

من خلال ما سبق من حديث يمكن القول وبكل الثقة بأن تجسد كلمة الله في أحشاء مريم العذراء أضفى بعداً إلهياً على كل خصوصياتها التي فيها ارتبط مصيرها بمصير ابنها الله المتجسد . وإن واحدة من تلك الخصوصيات التي اكتسبت بعداً إلهياً هي بتوليتها قبل وأثناء الحمل . والسؤال الذي يفرض نفسه يقول : هل يتغير البعد الإلهي ؟ بالتأكيد لا . فإذا كان البعد الإلهي لا يتغير فهل سيتغير شيء انصبغ بالبعد الإلهي ؟ أيضاً بالتأكيد لا . والآن :

إذا كان البعد الإلهي لا يتغير وما ينصبغ بالبعد الإلهي لا يتغير أيضاً ، وإن بتولية أمنا العذراء انصبغت بالبعد الإلهي قبل وأثناء الحمل بالمسيح ، فهل إن بتوليتها كانت ستتغير عند ولادتها للمسيح الذي هو حقيقة البعد الإلهي ؟ أيضاً بالتأكيد لا .

إذاً . إن أمنا العذراء كانت بتولاً قبل وأثناء الحمل بكلمة الله وظلت بتولاً عذراء حين ولادتها له .

والآن وبعد أن وصلنا إلى هذه النتيجة نضرب هذا المثل وهو من (يو 20: 19 و 26) عن دخول ربنا يسوع المسيح إلى العلية التي كان التلاميذ مجتمعين فيها والأبواب مغلقة ، ثم الخروج منها والأبواب مغلقة أيضاً ، وهذا ما حدث مرتين خلال ذلك الأسبوع . فهل كان صعباً عليه بعد أن حلّ في أحشاء العذراء وهي بتول أن يولد منها ولادة طبيعية وتظل أيضاً بتول ؟

ثالثاً . عذراء بتول بعد الولادة وإلى الأبد .

إننا تكلمنا عن هذه المسألة بكثير من الشرح والبرهان ولذا فإننا سنخصص حديثنا الآن عما هو المقصود بأخوة المسيح الوارد ذكرهم في الإنجيل الذين يستخدمهم من يتهم العذراء بأنها تزوجت بعد ولادتها للمسيح .

ما المقصود بأخوة المسيح الوارد ذكرهم في الإنجيل ؟

- ورد في العهد الجديد عبارات كثيرة تحتوي على ذكر أخوة يسوع منها :
- ورد في (مت 12: 46-47 ، لو 8: 19-20) : وفيما هو يتكلم إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فقال له واحد : هوذا أمك وإخوتك خارجاً طالبين أن يكلموك .
 - وفي (مت 13: 54-56 ، مر 6: 2-3) : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم إخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا ؟ أوليست أخواته جميعهن عندنا ؟ فمن أين لهذا هذه كلها فكانوا يعثرون به .
 - وورد في (يو 2: 12) : وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمّه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة .
 - وفي (يو 7: 5) : لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به .
 - أيضاً جاء في (أع 1: 14) : هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبه مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته .
 - وفي (غل 1: 19) يقول الرسول بولس : ولكنني لم أر غيره من الرسل (أي بطرس) إلا يعقوب أخا الرب .

من هم هؤلاء ؟

- كانت العادة عند اليهود هي أن تطلق صفة الأخ أو الأخت لتشمل الأقارب من أبناء الأخوة والعمومة إلخ . وإن هذه العادة استعملت حين كتابة الوحي الإلهي أيضاً فنجد مثلاً :
- في (تك 14: 11) لوط هو ابن أخي إبراهيم . ولكن في (تك 14: 14) نجد أن إبراهيم يدعوا لوط بأنه أخاه .
 - كان لابان خال يعقوب أي كان أخو أمه (تك 28: 2) ولكن لابان في (تك 29: 15) يتكلم مع يعقوب على أنه أخوه باحتجاجة عليه لأنه أراد أن يخدم خاله مجاناً فقال : (أألانك أخي تخدمي مجاناً) ولذا فإن هؤلاء الأخوة الوارد ذكرهم ليسوع في العهد الجديد هم من الأقارب دعيو أخوة له بينما هم ليسوا أخوة جسديين . وكبرهان على ذلك أذكر أن ربنا يسوع المسيح له المجد وهو على الصليب إذ وجد أن أمه ستظل وحيدة لا أولاد لها ولا زوج إلخ فإنه سلمها أمانة لرسوله يوحنا حيث التفت إليهما وهما تحت الصليب وقال لها : يا امرأة هوذا ابنك . وقال ليوحنا : هوذا أمك ، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته (يو 19: 26-27) .

فلو كانت قد تزوجت وكان لها أولاد لما سلمها له المجد إلى يوحنا بل إلى زوجها وأولادها حيث أن الزوج والأبناء هم الأحق برعايتها من أي كائن آخر . ولكن إذ أنهما لم تتزوج وبالتالي لم يكن لها أولاد وبقيت وحيدة وكما يقال بالعامية (مقطوعة من شجرة) سلمها له المجد لرسوله المدلل يوحنا .

ملاحظة : إن اسم امرأة في العامية هو (مَرَه) وإنما كثيراً ما نجد فلاناً وهو ينادي زوجته قاتلاً : يا مَرَه أو يا مَرْتِي ، وفي الحقيقة هو اسم سرياني (حُنْجَلُ . مورتو . وفي اللفظ الشرقي للغة السريانية هو حُنْجَلُ ، مارتا . وفي كلا اللفظين يعني : سيدة) وقد ذكرت هذه الملاحظة كي لا يُفهمَ هذا الاسم خطأً . فيكون معنى قول المسيح له المجد يا امرأة هوذا ابنك هو : يا سيدة هوذا ابنك . ومن ذلك درجت العادة في الكنيسة ومنذ الأجيال الأولى في التكلم عن أمنا العذراء أو مخاطبتها أن يتضمن الحديث عبارة (السيدة العذراء) . وهناك في أماكن شتى من يكتفي باسم (السيِّدة) وباللفظ العامي (السيِّدى) .

والآن إلى بعض الحاكّمات لتأكيد أن هؤلاء الأخوة الوارد ذكرهم لم يكونوا أخوة جسديين للمسيح بل كما درجت العادة بتسمية بعض الأقارب بالأخوة .
1 - ورد في أنجيل يوحنا (يو: 2-5) : وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً فقال له أخوته انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل ، لأن أخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به .

التحليل . إن القول : لأن أخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به يدل على أنهم لم يكونوا أخوة جسديين حقيقيين . لماذا ؟

الجواب . لأنهم لو كانوا أخوة جسديين حقيقيين لكانت مريم ستنشئهم تنشئة سليمة بالحنة الشديدة بعضهم لبعض ، مخلصين بعضهم لبعض وذلك بسبب سلطتها عليهم كأم فما كانوا سيشككون به ورسالته . ولكن إذ أنهم شككوا به ورسالته فهذا يدل على أنهم لم يكونوا ملزمين بتصديقه والإيمان به لانتفاء الرابط الذي يلزمهم بالإيمان به ، ذلك أن كل الروابط غير رابط أبناء الأسرة من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ لا تلزم الإنسان بالآخر إلزام تبعية ، لا العم ولا ابن العم ولا الخال ولا ابن الخال ولا سائر أفراد العشيرة . ومن ذلك نستطيع القول :

- إما أن هؤلاء الأخوة كانوا أولاد يوسف من أمٍ أخرى . الأمر الذي لا يلزمهم بيسوع إلزام رسالة كون أمه ليست أمهم . بالإضافة إلى أنه لو كانوا أولاداً ليوسف لكانت العذراء أصغرهم مما لا يجعل لها سلطاناً عليهم .

- أو أنهم لم يكونوا أولاد يوسف بل من العائلة (أولاد عمومة وأولاد الخال أو من كلا الفئتين) . إنَّ ما توصلنا إليه ينطبق على الأماكن الأخرى التي ورد فيها ذكر أخوة يسوع .
2 - حينما كانت العذراء واقفة عند الصليب والمسيح معلّقاً عليه كانت واقفات معها أختها مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية بالإضافة إلى يوحنا الرسول (يوحنا 19: 25 - 27) .

وبالتحليل نجد : إنه بالإضافة إلى ما سبق ذكّرهُ من أنّها لو كانت متزوجة وكان لها أولاداً غير المسيح لما سلمها المسيح إلى يوحنا نقول أيضاً : إن تلك النسوة اللواتي وقفن إلى جانبها في ذروة محنتها ما كنّ ملزمات بذلك أكثر من زوجها وأولادها لو أنّها كانت متزوجة ولها أولاد . فلو كانت متزوجة ولها أولاد فهي كانت ستربيهم التربية المثالية وكانوا سيقفون ووالدهم معهم إلى جانبها في محنتها تلك دون أن يتركوها لحظة مهما كان الثمن صعباً .
كما إنّنا من مقارنة المحكمتين (1) و (2) نصل إلى هذه القناعة وهي أنّ العذراء لم تتزوج بل ظلّت عذراءً وإلى الأبد ، ولتكن بركة صلواتنا معنا إلى الأبد آمين .

مريم العذراء في ميامر الآباء السريان

كانت لأمتنا العذراء منذ أول انتشار الإيمان المسيحي بين السريان منذ السنين الأولى مكانة رائعة وقد تجلّى ذلك في تفنن آباء السريان في مدحها ووصفها في ميامرهم (قصائدهم) التي كانوا ينشدونها والتي دخلت معظمها في طقوس الكنيسة تعبيراً عن عمق إدراكهم بأهميتها في الإيمان المسيحي وأهمية استمراريتها بتولاً ، إنهم استطاعوا أن يدركوا أن أهميتها كأم للمسيح وأهمية استمراريتها بتولاً هي عقيدة إيمانية لا يجوز نسفها مطلقاً ولا يقبل سريانيّ أصيل أن تُنسَفَ هذه العقيدة أبداً . وإن البحث في هذا الجانب فقط يحتاج إلى تأليف كتاب كبير ولذا فإنني سأكتفي بذكر البعض القليل مما قال فيها آباؤنا السريان باللغة السريانية الخالدة ، وسنورد مباشرة الترجمة . هذا وإنني ألفت انتباه القارئ العزيز بأن لا يفهم من عبارة ((المرتل السرياني)) أنني أعني مرثلاً واحداً بعينه ، كلا . لكنني أقصد المراتل الذي أنشد هذه الترتيلة أو تلك ، وما أكثر الآباء الذين وضعوا أناشيد وقصائد وصلوات باللغة السريانية الخالدة ملحنّة بألحان الروح القدس أمثال ((مار أفرام السرياني ومار يعقوب ومار بالاي)) وغيرهم كثيرون جداً .

- في الصفحة 103 من كتاب الاشحيم يتكلم المرتل السرياني بلسان العذراء ، واني لأخاله كعالم
نفس استطاع أن يستدل إلى بعض ما كانت أمنا العذراء تحدّث فيه ربنا يسوع المسيح .

أُهْنِبَا مَدِينِمْ حَقْمَسَا فَبِ كُتْبَاهِمْ وَأَسْحَ أُهْنِبِمْ حِينِمْ لَا سُبْحَا لِيُنَا .

أُهْنِبِمْ خَلَا مَعْمَعَه بِيَه مَعِمْ وَوَا .

أُهْنِبِمْ مَهْطَا أَمْسَا مَكْهْ .

مُنَا لِيُنَا كِبِ نَحْسَا وَنَحْسَا مَعِ كُتْبَاهِمْ هَاكِيَه وَحَدَهْ مَكْهْ .

هـ حَسْبِ نَحْسُو هَهْيَبِمْ أَكْهَمِمْ مَعْلَسُو حَقْمَعِمْ .

قالت مريم للمسيح حينما ولدته كيف سأدعوك يا بني فأنا لا أعلم

أدعوك طفلاً فأنت أقدم من الأجيال

أدعوك شيخاً فأنت طفلٌ

سأدعوك إذا الإشراق الذي أشرق من الآب وقد جاء لينير كل المخلوقات

هاليوليا ... مبارك إشراقك ومسجود أباك الذي أرسلك لخلاصنا .

- في الصفحة (20) يذكر كتاب الإشحيم ما قالته مريم العذراء عن نفسها حينما زارت نسيبتها
أليصابات :

مَهْوَخَا بَعْمِي حَقْمِنَا هَسْبَهْ هَسْبِي حَاكِيَهْ مَسْبِي . وَسَبِ حَقْمَعِمْ حَقْمَا وَوَاكِيَهْ . هَاكِيَهْ مَعِمْ هَاكِيَهْ
لَهْطَا مَكْهْ كَبِ مَكْهْ مَكْهْ .

تعظم نفسي الرب وتبتهج روعي بالله مخلصي الذي نظر إلى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع
الأجيال تعطيني الطوبى .

أتأمل قليلاً في هذا القول وأقول :

إنني أعتبر أن أمنا العذراء تنبأت عن نفسها بأنها ستظل عذراء حينما أكذت بصيغة الجزم بأن جميع
الأجيال سوف تطوبها .

ماذا تعني الطوبى ؟

رسم موسى للأمم المباركة شبيهاً في الناموس والأنبياء وفي قبة الناموس وقسط المن ، وبعضاً هرون التي أفرخت في قدس الأقداس ، وبالطل وبجزرة بيت جدعون ، وقدر أليشع الجديد ، وبالسحاب القليلة التي رآها إشعياء .

مَحْمَلًا وَبُحْدَهُمَا هو تابوت العهد (خر 25: 10) صنعه موسى بأمر الله بحسب التعليمات التي أعطاه إياها وكان يحتوي بداخله على وعاء المن وعصا هرون التي أفرخت ولوحا العهد (خر 25: 16 . عب 9: 3-4) وكان يوضع بجانبه كتاب التوراة (تث 3: 26) وكان يُسمَّى أحياناً تابوت الشهادة (خر 25: 16) وكان يظهر فوق الغطاء سحاب حينما كان الله يتراءى لهم (لا 16: 2) (عدد 7: 89) .

1 - إنني أشكر سيدي نيافة الحبر الجليل مار اسطاثيوس متى روهم لأنه نيهني إلى أهمية هذه الأنشودة من كتاب الإصحيم ووجهني أن أضمنها هذا الكتاب وذلك لأهميتها في خدمة موضوعه ، وهذا ما سيتضح لك أخي المؤمن من شرح ما جاء فيها .

وكان تابوت العهد في واحدة من رموزه يرمز إلى أمنا العذراء التي حلَّ عليها الروح القدس وحلَّ ابن الله في أحشائها وولد منها كإنسان ليقوم بعملية فداء الجنس البشري وتحريره من قيود الخطية والموت والشيطان تحقيقاً لذلك الوعد الإلهي الذي ضربه للإنسان وهو يطرده من الفردوس حينما لعن الحية وقال : أضع عدواة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (تك 3: 15) وسيتضح ذلك أكثر من معرفة ما كان يوضع بداخل التابوت .

مَمْمَلًا وَبُحْدَهُمَا قسط المن

حينما كان شعب موسى في البرية أربعين سنة ولم يكن لهم ما يأكلون فإن الله أعطاهم ممَّا كان يُترله عليهم من السماء وكان يُشبه الكزبرة كي يأكلوا منه ولا يموتوا ، ولم يكن مسموحاً أن يجمع منه الإنسان إلا حاجة يومٍ واحد باستثناء يوم الجمعة حيث كانوا يجمعون منه ليومين وذلك لأنه تبارك اسمه لم يكن يُترله في يوم السبت حيث كان محرماً عليهم العمل فيه لأنه كان يوم الرب (تث 15: 12 - 14) وكان موسى قد ملأ وعاء منه ووضعه في تابوت العهد (خر 16: 32 . عب 9: 4) . كي يظلّ ذكرى وبرهاناً للأجيال على أن الله كان معهم وأسعفهم في تلك المحنة التي كانت من أشد الخن التي مروا بها . ومن رموز المن :

- كان يرمز إلى المسيح له المجد الذي وصف نفسه بأنه الخبز النازل من السماء ومن سيأكله يحيا إلى الأبد (يو: 6: 48- 51) .

- صار تابوت العهد وقسط المن الذي وضعه موسى فيه رمزاً إلى أمانة العذراء التي حبلت بالخبز السماوي في أحشائها لمدة تسعة أشهر ثم قدمته طعاماً للحياة الأبدية لكل من يؤمن به .

- إن في عدم إنزاله في يوم السبت إشارة إلى أن يوم السبت سييطل ويتحول إلى يوم الأحد بالمسيح الذي في يوم الأحد سيقوم من بين الأموات ويكرّس جسده طعاماً للحياة الأبدية .

حَصَّهُ هَرُونَ . عَصَا هَرُونَ

تكرر كثيراً تدمّر شعب موسى عليه وعلى إلهه ، وفي مرّة حينما تدمّروا غضب الله عليهم غضباً شديداً فحلّ بينهم وباءً شديداً وقال لموسى اخرج من بينهم كي أفيهم ، ولكن موسى تضرع إليه متشفعاً من أجلهم فقبل الله شفاعته (عد 16) فرفع الله عنهم الوباء وأمره بعدها أن يأتي رئيس كل سبط بعصا وهرون أيضاً كونه رئيس سبط اللاويين ويضعها جميعها أمام تابوت العهد وإن التي تفرخ منها وتزهر فإن صاحبها قد اختاره الله كي يطلب من أجل الجماعة حين تذرهم وتمردهم فيشفع فيهم ويتقدم إليه بخطاياهم ويستجيب الله له ، ففعل موسى كما أمره الله وكانت العصا التي أفرخت هي عصا هرون (عدد 17) .

وبما أن هرون كان كاهناً ورئيس الكهنة فكانت عصاه إذا رمزاً إلى : العذراء التي كانت يابسة في كل ميول وشهوات نفسها وجسدها وأفرخت المسيح رئيس كهنة العهد الجديد الذي جاء ليشفع فينا شفاعته خلاصية كي نصل إلى الحياة الأبدية بأمان وفي ذلك قال الرسول بولس : يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله ، إذ هو حيّ ليشفع فيهم (عب 7: 25) .

هَلْ . الطل

هو رطوبة الجو إذا تكثفت على الأجسام الباردة فيبدو الجسم وكأنك قد رششت عليه الماء . ومن إشارات الطل في الكتاب المقدس هي الإشارة إلى البركات الروحية لأنه يفعل فعل المطر من دون رياح أو هطول غزير أو صواعق مفرجة ، وبالتالي فإن إحدى الرموز في تلك الإشارات كانت إلى أمانة العذراء كما سنرى في جزّة جدعون .

هَلْ . جدعون . جزّة بيت جدعون

الجزء هي كمية من الصوف . أما جدعون فكان ابن يواش الأيعزري وكانوا قد ارتدوا إلى عبادة البعل . دعاه ملاك الرب ليخلص شعبه من المديانيين ، فقام بتدمير هيكل البعل وتمثاله امتثالاً لأمر الله ، وإذ أنه أراد أن يتأكد من أن الله سوف ينصره فإنه وضع جزء صوف في البيدر وطلب من الله متوسلاً أن يعطيه إشارة بأنه سوف ينصره وتلك الإشارة هي أن يكون جفافاً في كل المحيط باستثناء جزء الصوف أن تمتلئ طلاً ، ففعل الله له ما طلب ، وفي اليوم الثاني عاد وتوسل أن يكون طلاً في كل المكان باستثناء جزء الصوف أن تظل يابسة ففعل الله له أيضاً ما طلب . وكانت واحدة من رموز تلك الجزء هي العذراء .

- فمن حيث امتلاء الجزء بالطل هكذا أيضاً امتلأت أمتنا العذراء بالروح القدس وحبلت بطل الحياة لتقدمه بركة روحية أبدية للبشرية التي كانت يابسة مفتقرة إليها .
- ومن حيث أن الجزء ظلت يابسة في الوقت الذي كان قد حل فيه الطل على المحيط ، هكذا أيضاً بعد أن ولدت أمتنا العذراء ربنا يسوع المسيح وانطلقت بركاته إلى كل مكان على سطح الأرض ظلت هي جزءاً يابسة بشهوات وميول الجسد والنفس ومكثت بتولاً دون أن تتزوج إلى أن سعدت إلى السماء ولم تمتلئ أحشاؤها بغير المسيح له المجد .

مَعْمَلٌ؟ كَعْمٌ قَدْرُ أَيْشَع .

ذهب أليشع النبي مرة إلى الجليل وكان حينذاك جوعاً في الأرض فقال لخدمته جيحزي : ضع القدر الكبير واسلق سليقة لبني الأنبياء ليأكلوا ، فخرج واحد ليلتقط بقولاً من الحقل فوجد يقطيناً برياً فالتقط منه قتيلاً برياً ملء ثوبه وأتى ووضع في قدر السليقة ، وحينما صبوا للقوم ليأكلوا فإنهم صرخوا إلى أليشع وقالوا في القدر موت يا رجل الله . فقام أليشع باللقاء دقيق بالقدر وقال : صبوا ليأكلوا ، فأكلوا وكأنه لم يكن شيئاً رديناً في القدر (2ملو4: 38- 41) . إن ذلك القدر وقبل أن يلقي فيه أليشع الدقيق كان رمزاً إلى كل امرأة حينما تحبل فتلد إنساناً مجبولاً بالخطية وذلك على حد قول داود النبي الذي قال : هأنذا بالإثم صوّرتُ وبالخطية حبلت بي أُمِّي (مز51: 5) وإن هذا الإنسان طعمه فاسد يفكر بالشر ويعمله بنفسه الأمانة إلى سوء . أما بعد أن وضع أليشع الدقيق في ذلك القدر فصار يرمز إلى أمتنا العذراء التي لم يمسه رجل ولم تلد إنساناً على شاكلة البشر بل حبلت بجلول بالروح القدس وولدت المسيح الذي ليس فيه طعم فاسد يقود إلى الموت بل إن طعمه هو طعم الحياة الأبدية ، وإن كل من يقبل إليه يكتسب منه ذلك الطعم الطيب فيحيا به إلى الأبد .

حُبُّنَا مَكْتُومٌ؛ وَسَأَلُ أَحَدًا السَّحَابَ الْقَلِيلَ الَّذِي شَاهَدَهُ إِشْعِيَاءُ .

إن المرتل السرياني يقصد ما رآه إشعيا النبي بينما هو يتكلم بروح النبوة عن كنيسة المسيح العتيقة أن تظهر فقال معبراً عما رآه : مَنْ هَؤُلَاءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بَيْوتِهَا؟ (إش:60: 8) . تلك السحابة كانت الكنيسة والحمام هم أنبياءها ورسولها وشهداؤها وقديسوها كما ذكر كتاب الإصحيم أيضاً في ص55 في صلوات صباح الثلاثاء من الأسبوع ، كما أن واحدة من الرموز التي في تلك الرؤيا هي التي تشير إلى أمنا العذراء التي كانت ولا تزال تطير في سماء كنيسة المسيح كحمامة أمّ لكل الحمام أبناء كنيسة ابنها يسوع المسيح له المجد إلى الأبد .

ملاحظة

إنني لم أسمع ولم أقرأ أن أياً من ظهورات أمنا العذراء قد حدثت في أيّ من الكنائس على امتداد العالم التي لا تعترف باستمراريتها عذراء ، بل إن جميع ظهوراتها حدثت موزعة على الكنائس التي تعترف باستمراريتها عذراء .

كلمة الختام

أخصص كلمة الختام عن صوت ترددت كثيراً في الإعلان عنه لكنني خفت في النهاية من عدم الإعلان عنه لأنني بعد أن درسته على ضوء تعاليم كتابنا المقدس وجدت فيه رسالة أرسلها الله لكل امرأة وفتاة .

ففي مرة كنت حاضراً فيها مناسبة انزعجت كثيراً من جراء مشاهدتي للكثير من الفتيات والنساء اللواتي كنّ حاضرات وهن لابسات لباس الموضة الفاضح الذي يكشف من جسد المرأة الشيء الكثير وبخاصة مفاتنه التي تحرك الغريزة الجنسية عند الشباب وبخاصة المراهقين . واستمر انزعاجي لمدة زادت عن العشرة أيام في هابتها وبينما أصلي في خلوتي جاءني صوت في أذني وهو يقول : ((العذراء تحتج والكنيسة تشتكي)) وتكرر ذلك ثلاث مرات .

فعلى من تحتج العذراء وعلى من تشتكي الكنيسة ؟

تنويه :

لقد تم الحصول على هذه النسخة من كتاب " كانت ولا تزال
عذراء " أي نسخة الـ Word من خلال مؤلف الكتاب الأب
ميخائيل يعقوب الذي كتبه بنفسه على جهازه الخاص وقمنا
بتحويله إلى ملف بصيغة الـ PDF .

يشكر الأب ميخائيل على تعاونه معنا في سبيل نشر تلك الكتب
القيمة .

شكراً

www.A-olaf.com